أثر أرسطو فى الدراسات اللغوية العربية

إبان عصور الدولة العباسية

أ.د. محمد عبد الصمد زعيمه

قسم اللغات الشرقية وآدابها

كلية الآداب –جامعة القاهرة

بلغت العلوم العربية إبان العصر العباسى الأول درجة عالية من التطور والرقىّ ، ويرجع السبب الأساسى فى ذلك إلى ما يمكن أن نسميه بالانفتاح الثقافى على مختلف ثقافات الأمم والشعوب التي انتشر فيها الإسلام مصحوبًا بلغة الذكر الحكيم ، على الرغم من اختلاف ثقافات تلك الأمم والشعوب . ولم يكد يمضى القرن الأول من الحكم العباسى حتى كانت خلاصة تلك الثقافات مدونة باللغة العربية . ويقول الأستاذ أحمد أمين : " إن العرب الذين لم يكونوا يعلمون شيئا من مصطلحات الحساب والهندسة والطب ، ولا شيئا من منطق أرسطو وفلسفته ، أصبحوا فى قليل من الزمن (نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسى) يعبرون بالعربية عن أدق نظريات أقليدس ، وحساب الجيب الهندى، وما وراء المادة ، لأرسطو ، ونظريات الهيئة لبطليموس ، وطب جالينوس ، وحكم بزرجمهر ، وسياسة كسرى ، وما كانت تستطيع ذلك كله لولا ما بها من حياة ومرونة ورقى"[1].

وفى هذا القول بعض المبالغة وعدم الدقة فى تحديد الفترة التاريخية التى اتصل فيها علماء المسلمين عامة وعلماء العربية خاصة بمؤلفات فلاسفة اليونان لا سيما كتب المنطق الأرسطى ، ولقد أشار ابن خلدون إلى علوم اليونانيين التى هجرها ملوك الروم ، لكنها بقيت فى صحفها ودواوينها

محفوظة فى خزائنهم ، إلى أن قامت الدولة العباسية (١٣٢هـ - ٧٤٩م) وازدهرت الحضارة العربية الإسلامية ، وسمع الخلفاء من القساوسة المعاهدين وعن علوم الحكمة وما لها من قيمة ونفع فتشوقوا إلى الإطلاع على هذه العلوم . وهكذا نشأت الرغبة في المعرفة وتولد الدافع إليها ، ثم قال ابن خلدون بعد ذلك : "بعث أبو جعفر المنصور (١٣٦هـ -٧٥٣م) إلى ملك الروم أن يبعث إليه يكتب التعاليم مترجمة ، فبعث إليه لكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات ، فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصًا على الظفر بما بقى منها . وجاء المأمون (١٩٨هـ - ٨١٣م) بعد ذلك وكان له فى العلم رغبة ... وأوفد الرسل على ملوك الروم فى استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربى ، وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب ، وعكف عليها النظار من أهل الإسلام ، وحذقوا فى فنونها ، وانتهت إلى الغاية ، نظارهم فيها ، وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الأول (أى أرسطو) واختصوه بالردّ والقبول لوقوف الشهرة عنده ، ودوّنوا فى ذلك الدواوين، وأربوا على من تقدمهم فى هذه العلوم"[٢] .

هكذا بدأ اتصال علماء المسلمين بالكتب اليونانية القديمة، بداية بكتاب أوقليدس وكتب الطبيعيات فى عهد أبى جعفر المنصور، ثم ببقية تلك الكتب اليونانية فى عهد المأمون . ولنا هنا ملاحظة مهمة تتعلق بفترة اتصال علماء المسلمين بكتب المنطق الأرسطى ، وكيف أنهم انتقدوها وتفوقوا عليها. وهذه نقطة مهمة فى بحث أثار أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ق.م.) فى الدراسات اللغوية العربية ، فأى مؤلف فيها قبل عهد المأمون لم يتأثر بكتب أرسطو[*]، لأنها لم تكن قد ترجمت إلى العربية بعد ، ولم يكن علماء العربية

---

[*] تشمل كتب أرسطو مجالات معرفية متنوعة ، فمنها كتب في السياسة والأخلاق، وكتب ميتافيزيقية (أى ما وراء الطبيعة) ، وكتب فى الطبيعيات ، وكتب فى المنطق ،=

قد اطلعوا عليها وأفادوا منها . وعموما فقد شهدت الفترة التاريخية التى حددها ابن خلدون نهضة علمية كبرى لا يتسع المجال هنا للحديث عنها ، غير أنه من الضرورى الإشارة إلى بعض مظاهرها ودوافعها بالقدر الذى يساعد فى الكشف عن مظاهر التأثير اليونانى فى العلوم العربية وخاصة العلوم اللغوية.

كان السبب فى هذه الطفرة العلمية الكبرى ينحصر تقريبا فى أمرين، أحدهما طبيعة اللغة العربية وخصائصها من ناحية ثروتها اللفظية الضخمة وتنوع طرق التوليد والتجديد وأساليب التعبير والبيان ، والأمر الآخر كيفية تعامل علماء المسلمين مع تلك الثقافات الأعجمية وقدراتهم العلمية الفائقة فى الإفادة منها . وما يعنينا هنا هو الثقافة اليونانية التى نجح أولئك العلماء فى استيعاب معارفها وعلومها ربما أكثر من غيرها من ثقافة الهند وثقافة الفرس وغيرهم من الأمم والشعوب ممن شملتهم الدولة العربية الإسلامية فى العهد العباسى . ولقد وصفت الثقافة اليونانية القديمة بأنها مرّت بالأدوار الطبيعية للعلم من بحث في مسائل متفرقة ، فتنظيم وتبويب ، وجمع للمسائل المتشابهة وقواعدها فى باب واحد . وأنها وصلت إلى علماء المسلمين بعد أن هذبها المنطق ورتبها الأجيال المتعاقبة من فلاسفة اليونان(٢مكرر).

ويبدو أن الخلفاء ورجال السياسة فى الدولة العباسية كانوا شغوفين لمعرفة طرق التفكير والبحث والتأليف عند علماء اليونانية القديمة للإفادة منها فى إدارة دَفَّةِ الحكم ، ويبدو أيضا أن علماء المسلمين كانوا يرغبون فى

=وكتب فنية فى الخطابة والشعر – انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم – لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م) ص١٤٤-١١٦؛ W.K.C., Guthrie : The Greeks and their Gods, Beacon Press- Boston 1955, pp: 353-355.

الاتصال بعلوم هذه الثقافة لكى يستخدموها فى الجدل الدينى والعلمى الذى قويت تياراته المختلفة فى أواخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى . ومن أجل ذلك شجع الخلفاء والولاة علماء المسلمين على نقل وترجمة الكتب اليونانية ، خاصة أن طبيعة الثقافة اليونانية عقلية منطقية ، وهى تجعل لكل قضية مقدمات ونتائج ، والحاجة إلى الإفادة منها صارت ضرورية منذ بداية الحكم العباسى .

ولقد كان انشغال الأمويين باستكمال الفتوحات الإسلامية وبترسيخ أركان دولتهم سببا فى تأخر الاتصال الوثيق والعلمى بالثقافة اليونانية على الرغم من وجود مدارس حنديسابور وحران والإسكندرية كمعاقل لتلك الثقافة حتى قبل الإسلام بقرون ، وعلى الرغم من الاتصال المباشر بين العرب وحملة الثقافة اليونانية من الروم والقبط وغيرهم قبل قيام الدولة العباسية غير أن النقل والترجمة لعلوم اليونان تأخّر إلى ما بعد قيام دولة بنى العباس، وبلغ ذروته فى عصر الخليفة المأمون بصفة خاصة كما ذكرنا من قبل .

ولم يكتف علماء المسلمين بنقل العلوم اليونانية وترجمتها إلى العربية بل إنهم أعملوا عقولهم فيما ترجموه فبنوا عليه وزادوا فيه وابتكروا ، ولم يكن موقفهم موقف الناقل فحسب . وكان كثير منهم ينظر بإحدى عينيه إلى الثقافة اليونانية ، وبالعين الأخرى إلى التعاليم الإسلامية والثقافة العربية ، فيختار من الأولى ما يتفق والثانية ، ويؤلف منهما مزيجا لا هو يونانى بحت، ولا إسلامى بحت ، إنما أظهر ما كان ذلك فى العصر الذى يلى عصرنا هذا وهو العصر العباسى الثانى ، فقد كانت الترجمة قد تمت وركزت ، فأعتقها الأخذ بها والبناء عليها ، وظهر أمثال إخوان الصفا ، والفارابى ، وابن سينا، وابن رشد وأمثالهم[٣].

ويقال إنه كان لعلماء السريان فضل كبير في نقل علوم اليونان وترجمتها إلى العربية ، حيث ترجموا مصنفات تلك العلوم إلى لغتهم

السريانية، ثم قاموا بعد ذلك بترجمتها من السريانية إلى العربية . وشملت تلك المصنفات الطب ، والفلسفة ، والرياضة ، والفلك ، وعلوم الطبيعة ، والتاريخ ، والأدب وغير ذلك مما شملته حركة النقل والترجمة . ومعنى هذا أن الثقافة اليونانية القديمة لم تكن ثقافة فلسفة فحسب ، وإنما ثقافة ذات علوم متنوعة أخرى وإن غلب عليها الطابع الفلسفى ، ومن أشهر المترجمين السريان الذين شاركوا فى حركة الترجمة هذه يوحنّا البطريق (أو يحيى البطريق) ، وحنين بن إسحاق ، ومتى بن يونس ، وسنان بن ثابت بن قرة ، وغيرهم ، وخضعت ترجماتهم تلك للتفسير والتلخيص خاصة على يد فلاسفة المسلمين ممن سبق ذكرهم كما خضعت لدراسات المستشرقين المعاصرين ممن تولوا تحقيق نصوص الترجمات السريانية وما نقل عنها إلى العربية من أمثال المستشرق تكاتش Tkatsch الذى ذكر عن ترجمة متى بن يونس لكتاب الشعر لأرسطو بعض الأخطاء الجسيمة ، منها أن المترجم كان يعجز عن فهم التراكيب اليونانية ويترجمها ترجمة حرفية ، ثم يخضعها لتراكيب الجمل العربية ، مما جعل هذه الجمل العربية مخالفة لنظائرها فى الأصل اليونانى(٤). ولاشك أن تلك الأخطاء قد أدّت إلى غموض الترجمات عبر اللغة السريانية ، ودفعت نفرا من المستشرقين لتحقيق تلك الترجمات وتصويبها ، كما دفعت بعض علمائنا المعاصرين لإعادة ترجمة (كتاب الشعر) إلى العربية، على نحو ما قام به الدكتور إحسان عباس ، والدكتور شكرى عياد .

والجدير بالذكر أن أرسطو قد حظيت تآليفه باهتمام الباحثين قديما وحديثا بالتحقيق والدراسة التحليلية والترجمة . وربما كان (كتاب الشعر) قد حظى بعناية الباحثين أكثر من غيره من تلك الكتب المنسوبة لأرسطو(٥) وسوف نعتمد فى المقارنات على أقوال من هذا الكتاب فى تحديد مظاهر التأثيرات اليونانية فى الدراسات اللغوية العربية خلال عصور الدولة

العباسية، إلى جانب أقوال أخرى من بعض تـأليف أفلاطـون. ولا نختـار أرسطو من بين علماء الإغريق إلا لشهرته التى حظـى بهـا فـى عـصر المأمون، فقد روت المصادر العربية القديمة أن هذا الخليفة العباسى رأى فى منامه رجلا أبيض اللون، مشربا حمرة، واسع الجبهة، مقرون الحاجب، أجلح الرأس، أشهل العين ، حسن الشمائل، جالسًا على سريره .

وذكر ابن النديم فى (الفهرست) حوارا بين هذا الحكيم والمأمون حيث سأله المأمون: من أنت ؟ قال : أنا أرسطاليس . ما الحسن؟ قال: مـا حَـسُن من العقل . ثم ماذا ؟ قال : ما حَسُن فى الشرع . ثم ماذا ؟ ما حـسن عنـد الجمهور. ثم ماذا ؟ قال : لا . ولقد رويت هذه القصة عند ابن أبى أصـيبعة بصورة أخرى ، حيث قيل : أن المأمون رأى فى منامه كـأن شـيخا بهـى الشكل جالسًا على منبر وهو يخطب ، ويقول : أنا أرسطاليس . فانتبه مـن منامه ، وسأل عن أرسططاليس ، فقيل له : رجل حكـيم مـن اليونـانيين ، فأحضر حنين بن إسحاق ، إذ لم يجد من يضاهيه فى نقله ، وسأله نقل كتب الحكماء واليونانيين إلى اللغة العربية ، وبذل له من الأموال والعطايا شـيئا كثيرًا .

وسواء كانت هذه القصة موضوعه أو حقيقية فإنها تدل علـي مكانـة أرسطو عند أولى الأمر من خلفاء العباسيين وما كان لهذا الحكيم اليونانى أن يحظى بهذه الشهرة الكبيرة إلاّ عن طريق مؤلفاته القيمة التـى أدرك علمـاء المسلمين قيمتها العلمية الكبيرة ، وما يعنينا من مؤلفات أرسـطو هـو مـا تتضميه من أقوال أثرت فى الدراسات اللغوية العربية من ناحيـة ، ونظـرة الباحثين الغربيين المحدثين لأرسطو من الناحية اللغوية .

ومن اللغويون الأمريكيين المحدثين من قال : "لقد أطلق البعض علـى أرسطوطاليس تسمية (أبو النحو)[٦] فى العالم العربى . وتكرر ذكـر مـسألة الأبوة هذه طوال تاريخ علم اللغة ولا تعنى هذه الأبوة – فى رأينا – سـوى

مجرد شرف الريادة للبحث النحوى فى اللغات الغربية لأنّ لكل نحو فيها سماته وخصائصه الذاتية التى تتلاءم مع اللغة التى يقعد لها . فتقسيم الأسماء -مثلا- نجده فى بعض اللغات الغربية يتم على أساس المذكر والمؤنث فقط، وفى بعضها الآخر يتم على أساس المذكر والمؤنث والمحايد كما هو الحال فى اللغة الألمانية . وأحسب أن هؤلاء العلماء الغربيين الذين منحوا أرسطو هذا الشرف لم يكونوا يقصدون بالأبوة النحوية أكثر من هذا .

وما يزال اللغويون الغربيون المحدثون يهتمون بمؤلفات أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان القدماء ، ويستلهمون منها آراءهم ونظرياتهم اللغوية . أما علماؤنا المحدثون الذين عنوا بدراسة تأثيرات مؤلفات أرسطو فى الثقافة العربية قديمها وحديثها فقد تنوعت اتجاهاتهم البحثية، واختلفت أراؤهم بين مؤيد لهذه التأثيرات ومعارض لوجودها ومن الممكن تحديد اتجاهاتهم فى مجالات الفلسفة الإسلامية ، والنقد الأدبى من الناحيتين الفنية واللغوية ، والدراسات اللغوية خاصة النحو العربى ، والبلاغة العربية . ولقد اختلفت اتجاهاتهم فى تناول المسائل والقضايا فى هذه المجالات . ففريق المعارضين تمسكوا بالمناهج العربية التقليدية ، ورأوا أن العلوم العربية فى هذه المجالات . ففريق المعارضين تمسكوا بالمناهج العربية التقليدية ، ورأوا أن العلوم العربية فى هذه المجالات تتسم بالإصالة وبالطابع العربى الإسلامى. وفريق المؤيدين اجتهدوا فى التدليل على مظاهر التأثير اليونانى ومواضعه ، وكان منهم من بالغ فى ذلك ومنهم من اقتصد ولقد اعترف علماؤنا القدماء بتفاعلهم الجاد مع مصنفات علماء اليونان القدماء من ناحيته ، ووصفت المصادر العربية حركة النقل والترجمة لتلك المصنفات إلى العربية من ناحية أخرى . ومن ثم لا يستطيع أى باحث منصف أن يذكر التفاعل الفكرى بين العلوم اليونانية والثقافة العربية التى ازدهرت علومها إبان حكم العباسيين من جراء عوامل مختلفة أهمها لقاء الحضارات وتفاعل الثقافات

وامتزاج الشعوب والقوميات وانصهر كل ذلك فى بوتقة الثقافة العربية فى ذلك الحين .

ولكى تتضح لنا حقيقة التأثير اليونانى فى الدراسات اللغوية العربية بمفهومها الحديث فإننا نعرض لها فى المجالات التالية :

أولا : مجال الأصوات اللغوية :

لكل لغة أصواتها الخاصة التى تتميز بها عن أصوات غيرها من اللغات ، مع ذلك توجد أصوات لغوية مشتركة بين كثير من اللغات ، منها : الميم والباء والفاء والدال والزاى والسين والشين والجيم والكاف ، وغير ذلك من الأصوات اللغوية المستعملة فى كلام معظم البشر على اختلاف ألسنتهم وأجناسهم وبيئاتهم ، وربما كانت هذه الأصوات ميراثا من لغة آدم وحواء وأحفادهما ، وهو ميرات احتفظت به اللغات الإنسانية كالعربية واليونانية .

وتتشكل الأصوات فى نظام ترتيبى فى كل لغة مكتوبة . غير أن العربية عرفت ثلاثة أنظمة ترتيبية ، الأول يعرف بالترتيب الأبجدى الذى يتألف فى المجموعاتِ الاصطلاحية (أبجد ، هوز، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ) ، وهذا هو الترتيب السامى القديم الذى اصطبغ ببعض الأساطير لدرجة أن سيبويه لم ينظر إليها كمجموعات صوتية ، بل كأسماء منها المنصرف وغير المنصرف ، فقال عن المجموعات الست الأولى منها : " وأبو جاد وهواز وحطى كعمرو (أى تنصرف) وهى أسماء عربية، وأما كلمن وسعفص وقريشيات فإنهن أعجمية لا ينصرفن"(٧).

وتؤكد الدراسات المقارنة بين أصوات اللغات السامية أن هذه الكلمات ليست سوى مجرد مجموعات صوتية تضم كل واحدة منها عددا من الحروف الصوامت للأبجدية السامية ، كما تثبت الدراسات السامية المقارنة أيضا أن الأجريتيين اخترعوا هذه الأبجدية ، وعنهم نقلها الفينيقيون إلى اليونانيين

القدماء فى حوالى سنة ١٠٠٠ ق.م. تقريبا[٨] . وما يـزال هـذه الترتيـب الأبجدى هو المستعمل فى الأبجدية اليونانية كشاهد على تأثير الثقافة السامية العربية القديمة فى الثقافة اليونانية[٩].

وتعرف العربية أيضا الترتيب الهجائى ، الذى أوجده علماء المسلمين فى عصر صدر الإسلام من أجل تيسير تعليم العربية للأعاجم ممن دخلوا فى دين الله أفواجا ، وهو الترتيب الشائع فى العربية وفيـه جمعـت الأشـكال المتشابهة للحروف فى مجموعات يتصدرها رسم الألف (أ ب ت ث ج ح خ ... إلخ) ، وليس فى هذا الترتيب الهجائى أى أثر أجنبى باتفاق الباحثين .

وتعرف العربية كذلك الترتيب الصوتى الذى أوجده الخليل بن أحمد (ت :١٧٠هـ تقريبا) ، وذكره فى مقدمة معجمه (العين)[١٠]، ورتبه بحسب المخارج الصوتية فى رأيه ، وجعله فى مجموعات هكذا (ع ح هـ خ غ – ف ك ... إلخ) ، ومع أن هذا الترتيب الصوتى لم يتأثر بأى ثقافات أعجمية سواء كانت يونانية أو غير يونانية ، فإن من الباحثين العرب المحدثين من يرى أنه يحتمل وجود تأثير هندى صوتى على الخليل لا يتجاوز الترتيب الصوتى لحروف الهجائية مع البدء بأعمقها مخرجا[١١]. ومن هؤلاء الباحثين من رفض هذا التأثير الأعجمى بقوله : "إن دراسة الخليل للأصوات تختلف اختلافا كبيرا عن دراسة الهنود لها ، وبخاصة فى تطبيقه نتائج هذه الدراسة فى استخلاص آثار نماذج الأصوات وتجاورها وحتى الترتيب الصوتى للحروف ، وهى واحد وخمسون حرفا لدى الهنود يختلف عن ترتيبها لدى الخليل ، كما أن ما شرحه الليث فى مقدمة العين من طريقة توصل الخليل إلى هذا الترتيب يوحى بأنه كان بجهد الخليل الخاصة وبذوقه المتميز . ويعضد هذا أن اللغويين العرب بعد الخليل خالفوه فى ترتيب الحروف ، وأول هؤلاء تلميذه سيبويه ، وخالفهما ابن جنى فى القرن الرابع الهجرى،

مما يدل على أن المسألة لدى العرب اجتهادية أصيلة ، ولم يكونوا فيما أنجزوه من دراسة الأصوات متأثرين دراسة معينة أو مقلدين منهجا سابقا"[١٢] . وفى هذه الأدلة ما يكفى لنفى أى تأثير أجنبى فى الترتيب الصوتى للحروف العربية . سواء كان الترتيب أبجديا أو هجائيا أو صوتيا فإنه كان عربيا خالصا لأنه اقتصر على الأصوات اللغوية الخاصة بالعربية .

من أجل ذلك تشابهت الدراسات الصوتية فى مختلف العلوم العربية والراجح أن علماء التجويد والقراءات كانوا أول من تناول الأصوات العربية بالدراسة والوصف ، ثم كانت أحكامهم الصوتية فى (علم التجويد) مقنّنة ومحددة ، وتلاهم النحاة الذين خصصوا بعض الفصول فى مصنفاتهم النحوية للأصوات ، التى جعلوها أساسًا لظاهرة الإدغام ، وسببا من أسباب الإعلال والإبدال . وشارك علماء المعاجم العربية فى الدرس الصوتى فى مقدمات معاجمهم كما هو الحال فى مقدمة معجم (العين) للخليل ومقدمة معجم (جمهرة اللغة) لابن دريد وغيرهما من المعاجم العربية الأخرى . ولبعض البلاغيين العرب دورهم فى الدرس الصوتى على نحو ما نجد عند ابن سنان الخفاجى (ت٤٦٦هـ) فى كتابه القيمّ (سر الفصاحة) ، ففيه تعريف للصوت، وخصائصه ، وطبيعته، والفروق بين الصوت والحرف ، وسبب اختلاف الحروف ، وترتيب صوتى لها ، ومناقشات لآراء العلماء العرب الصوتية وغير ذلك من المسائل الصوتية المهمة[١٣] .

ومن الصعب مقابلة هذه الدراسة الصوتية للأصوات العربية بما ورد فى كتاب الشعر لأرسطو من مسائل وأحكام صوتية ، فهو يقول : "أجزاء الحروف هي الصائتة ، ونصف الصائتة ، والصامتة ، فالحرف الصائت هو ما يحدث صوتا مسموعًا بدون قرع الشفتين أو الأسنان كالألف والواو . ونصف الصائت ما يحدث صوتا مسموعا مع القرع كالسين والراء. والصامت ما لا يحدث لنفسه صوتا مع القرع ، ولكنه يحدث صوتا مسموعا

إذا اقترن بحروف صائتة كالجيم والدال"[١٤] . وواضح أن هذه التقسيمات الصوتية خاصة باللغة اليونانية ، ولا تتفق مع نظائرها فى العربية إلا من ناحية التقسيمات الطبيعية الموجودة فى سائر اللغات الإنسانية أو غالبيتها ، مما تنقسم الأصوات اللغوية فيها إلى صوامت (حروف) وصوائت (حركات) وأنصاف صوائت (أنصاف حركات) ، كما أن الصامت لا ينطق به وحده وإنما تصاحبه حركة ، ولذلك سمى الصامت أو الحرف ساكنا ، والساكن – كما وصفه ابن جنى – ما أمكن تحميله الحركات الثلاث ، وكل حركة ترد بعد الحرف المتحرك بها[١٥]. والأمثلة التى ذكرها أرسطو لا يتفق بعضها مع مقابلاتها العربية ، فالألف والواو عنده من الصوائت (الحركات) ، والألف العربية من حروف اللين ، والواو نصف صامت ، وصوتًا السين والراء ليسا أنصاف صوائت فى العربية وإنما هى من الصوامت (الحروف) .

أضف إلى ذلك أن الرئيس أبا على الحسين بن سينا (ت:١٠٣٦م) كان ممن عنوا بكتاب الشعر لأرسطو ، حيث قام بتلخيصه وشرحه وله كتاب فى الأصوات بعنوان (أسباب حدوث الحروف)[١٦] ، ولم توجد فيه آية آثار لتقسيمات أرسطو الصوتية مع أنه يعد من أكثر علماء المسلمين دراسةً لكتاب الشعر . ولابن سينا فى دراسته الصوتية مقارنات ومقابلات لبعض الأصوات العربية بنظائرها فى بعض اللغات الأعجمية ، فهو يذكر فى مقابلاته الصوتية نظائر الأصوات العربية فى لغة الفرس وفى لغة الترك وغيرهم[١٧]، ولم يذكر شيئا من ذلك فى اللغة اليونانية .

وإذا تركنا التقسيمات الصوتية التى تعد من السمات العامة والمشتركة للأصوات فى كثير من اللغات ، فإننا نجد أرسطو يشير فى كتابه أيضا إلى مخارج الأصوات وصفاتها ، فيقول : " هذه الحروف تختلف باختلاف هيئات الفم، ومواضع النطق، والتفخيم والترقيق، والطول والقصر، والحدّة والغلظ، والتوسط بين ذلك. والبحث فى كل نوع من هذه الأنواع هو من شأن

أصحاب صناعة الأوزان "[١٨] . وهذا وصف مجمل توجد تفصيلاته فى المصادر العربية القديمة[١٩] ، بما يلائم وصف الأصوات اللغوية العربية ولا يلائم وصف نظائرها فى اليونانية ، كما أن الغرض من وصف المخارج والصفات الصوتية ليس دراسة نسيج الكلمات كما هو الحال عند علماء العربية القدماء ، بل كان الغرض عند الإغريق هو صناعة الأوزان ، بمعنى التوافق الصوتى لأوزان الشعر اليونانى القديم.

وتجدر الإشارة إلى وصف أرسطو للمقطع الصوتى ، فقد نص على أن "المقطع صوتى غير دال ، مركب من حرف صامت وحرف صائت ، فإن الجيم والراء بدون ألف هما مقطع ، ومع الألف هما مقطع كذلك ولكن البحث فى هذه الفروق أيضا هو مما يخص صناعة الأوزان[٢٠]، ولقد أشار ابن جنى إلى وقوع الحركة يعد الصامت (الحرف) كما ذكرنا من قبل ، لكنه لم يشر إلى المقطع الصوتى . ويقول الدكتور أحمد مختار عمر : " أهمل العلماء العرب دراسة المقطع وأشكالها وأجزائها إهمالا تاما"[٢١] . ولعل فى أهمال أولئك العلماء لدراسة المقطع الصوتى دليلا قويا على عدم تأثرهم بكتب أرسطو.

ومجمل القول فى العملية التأثيرية فى جانب الأصوات اللغوية أن دراسة علماء العربية لها اتسمت بالذاتية ومحاولات وصف الواقع الصوتى للفصحى وما أحاط بها من صور نطقية فى اللهجات العربية تارة وفى لغات العجم تارة أخرى . وكان أولئك العلماء يتذوقون الأصوات العربية ثم يصفونها ويحددون مخارجها وصفاتها دون تقليد لدراسات صوتية أجنبية أو محاكاة لما ذكره أرسطو أو غيره من علماء الإغريق ولا يعنى وجود تشابه فى الدرس اللغوى عامة أو فى الدرس الصوتى خاصة تأثيرًا معينًا من ثقافة فى ثقافة أخرى ، أو أن للسابقة منها أثر فى اللاحقة . ويؤكد الدكتور محمد حسين آل ياسين ذلك بقوله : "قد تتوفر لدى أكثر الأمم الظروف التى

تستدعى قيام دراسة من الدراسات أو وضع تأليف من التأليف ، كما أن الإبداع والابتكار ليسا وقفا على عقل دون آخر أو شعب دون شعب ، فقد تنشأ فى أكثر من بقعة من بقاع الأرض دراسات يهيأ لها ، أن تنمو وتنضج بعيدة عن التأثر بمثيلاتها فى البقاع الأخرى"[٢٢]. ومعنى هذا أن التشابه . فى الدراسة الصوتية يرجع إلى عوامل وظروف متشابهة فى التفكير العلمى فى الواقع الصوتى للغات الأمم والشعوب وما لهذا الواقع من خصائص صوتية مشتركة بين هذه اللغات ويؤدى هذا بالضرورة إلى استنتاجات متشابهة أو متقاربة .

ثانيا : مجال النحو والصرف :

يعد هذا الجانب أهم جوانب الدراسات اللغوية، لأن النحو يدرس أنواع الجمل والتراكيب محددًا وظائف عناصرها وكيفية أدائها للمعنى العام. والصرف (أو التصريف) هو، على حد قول ابن جنى، ميزان العربية ، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها ، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به[٢٣]: ومن أجل أمثلة ذلك ارتبط النحو بالتصريف وكذلك بالاشتقاق ، لأن هذه الفروع الثلاثة تخدم بعضها بعضا، وامتزجت قضاياها ووسائلها فى المصنفات النحوية العربية. ومن الباحثين المحدثين من يرى فى كتاب (المنصف) لابن جنى، الذى شرح كتاب (التصريف) للمازنى، فصلا بين النحو والصرف[٢٤]. غير أن هذا الكتاب ليس فصلاً للصرف عن النحو بقدر ما هو شرح مسهب للأبواب الصرفية وبعض الأبواب النحوية والاشتقاقية كذلك.

أن الارتباط بين النحو الصرف والاشتقاق وثيق الغاية . ويكفى أن نعرف عن الاشتقاق أن جلال الدين السيوطى جعل الاشتقاق خمسين نوعًا ، ثمانية منها فى اللغة من حيث الإسناد ، وثلاثة عشر من حيث الألفاظ ،

وثلاثة عشر من حيث المعنى ، وخمس من حيث لطائفها والباقية راجعة إلى اللغة ورواتها[٢٥]. وقد روى السيوطى تعريف الرمانى للاشتقاق فذكر أن "الاشتقاق اقتطاع فرع من أصل يدور فى تصاريفه الأصل"[٢٦]. وفى هذا ما يدل على قوة الارتباط بين الاشتقاق والصرف فبينهما اتصال شديد ، لأن لتصريف إنما أن تجئ إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى .

من أجل ذلك كان النحو والتصريف والاشتقاق فروعا بحثيه يكمل بعضها بعضا فى الدراسة اللغوية عند علماء العربية ' الذين كانوا على دراية تامة بذلك ، فابن جنى مثلا – قال عن تكامل النحو واللغة والتصريف والاشتقاق إن " التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه ، والاشتقاق أقعد فى اللغة من التصريف ، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق ، يدلّك على ذلك أنك لا تكاد تجد كتابا فى النحو إلا والتصريف فى أخره ، والاشتقاق إنما يمر بك فى كتب النحو منه الفاظ مشرّدة لا يكاد يعقد لها باب ، فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة ، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة"[٢٧].

على هذا النحو تمت دراسة النحو والصرف والاشتقاق وتطورت فى إطار الدراسات اللغوية عند علماء العربية فى عصور الدولة العباسية . وظلت دراسة النحو والصرف والاشتقاق تعالج مسائل اللغة العربية وقضاياها المتنوعة طوال تلك العصور من واقع اللغة ومن أجلها ، ويختلف الحال فى الثقافة اليونانية فالدراسات اللغوية عند اليونانيين القدماء وردت عرضا فى دراستهم للفلسفة ، بمعنى أن الدراسات اللغوية اليونانية عامة وفى النحو الصرف والاشتقاق خاصة لم تقصد لذاتها ،وإنما كانت وسيلة لغاية سوف نناقشها فيما بعد . ومن فلاسفة اليونانيين من رأى أن اللغة هى وسيلة التفاهم بين الناس ، لكن ألفاظ اللغة أشارات موضوعة لأى رموز ، وليست مشابهة للأشياء المفروض علمها ، فكما أن ما هو مدرك بالبصر ليس مدركا

بالسمع ، والعكس بالعكس ، فإن ما هو موجود خارجا عنه مغير للألفاظ . فنحن ننقل للناس ألفاظنا ولا ننقل لهم الأشياء ، فاللغة والوجود دائرتان متخارجان وينسب هذا إلى أرسطو[٢٨] .

والفرق واضح بين دراسة النحو والصرف والاشتقاق عند علماء العربية ودراسة اللغة عند علماء أو فلاسفة اليونانية ، فعلماء العربية درسوا خصائص لغة العرب الفصيحة ، ولكن علماء اليونانية شاع بينهم الجدل باللغة ، ومن ثم الحاجة إلى تعليم الخطابة وأساليب المحاجة ، واستمالة الجمهور ، وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء ، وبإيراد الحجج فى مختلف المسائل والمواقف . ولذلك بحثوا عن وسائل الإقناع والتأثير الخطابى عن طريق النظر فى الألفاظ ودلالتها ، والقضايا وأنواعها ، والحجج وشروطها ، والمغالطة وأساليبها[٢٩] .

على هذا الأساس نقول إن الارتباط بين النحو والتصريف والاشتقاق يعد من أخص خصائص النحو العربى ، الذى اكتملت أبوابه فى نهاية القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) على يد سيبويه (ت١٨٠هـ تقريبا) كما نقول أيضا إن الدرس النحوى العربى بمفهومه الواسع عند سيبويه وغيره من نحاة العربية فى العصور العباسية يعد بحثا عربيا لتعلقه بدراسة العربية ذاتها ومن أجل ذاتها ، بينما الدرس النحوى اليونانى ، إذا جاز لنا هذا التعبير ، كان بحثا فلسفيًا يتخذ من اللغة وسيلة لا غاية ، ويطلق الباحثون المحدثون على النحو العربى هنا تسمية النحو التقليدى ، وهى نفس التسمية التى يطلقونها على الدراسة النحوية اليونانية القديمة[*] ، وليس معنى الاتفاق فى

---

[*] لا يوجد فى الثقافة اليونانية القديمة فى عصور ما قبل الميلاد دراسة خاصة بالنحو، ولم يعرف فلاسفة اليونان الدرس النحوى منفصلا عن التفكير الفلسفى، وما تعنيه بالدراسة النحوية اليونانية القديمة لا يتجاوز الأقوال والعبارات الخاصة بالكلام واللغة فى مؤلفات فلاسفة الإغريق القدماء وخاصة أرسطو.

هذه التسمية الحديثة تأثير النحو اليونانى فى النحو العربى القديم ، وإنما معناه أن المسائل النحوية التى وضعها علمـــاء اليونانيـــة ومـــنهم أرســـطو[٣٠] ، والأبواب النحوية التى وضعها نحاة العربية وأشهرهم سيبويه ، فيها ما يغاير الدراسة النحوية الحديثة ويخالفها ، ومن ثم اختصت تسمية (النحو التقليـــدى) بالدرس النحوى القديم فى الثقافة اليونانية والثقافة العربية على السواء .

ومن أنواع الفروق بين النحو اليونانى القديم والنحو العربى القديم مما يتعلق بمضمونيهما ما ذكره الدكتور عبده الراجحى فى غـــضون تلخيـــصه لانتقادات اللغويين الوصفيين المحدثين للنحو التقليدى اليونـــانى (أى النحـــو القائم على أفكار أرسطو عن طبيعة اللغة اليونانية) وحيث قال : "إن النحـــو التقليدى – باعتماده على المنطق الأرسطى – أخذ الجملة الخبرية باعتبارهـــا اساس البحث اللغوى ، ومن ثم تحددت أقسام الكلام حسب وظيفتها فى هـــذه الجملة فقط، أما الأنماط الأخرى من الجملة فقد جـــرى شـــرحها باعتبارهـــا أشكالا منحرفة من الجملة الخبرية"[٣١] . ولا يهتم البحث فى النحو العربـــى التقليدى بالجملة الخبرية وحدها ، بل يهتم بدراسة جميع أنماط الجملة الخبرية والإنشائية وأشباه الجمل على حد سواء .

ومن الفروق بين النحويين اليونانى والعربى ظاهرة الإعراب ، وهى من أهم الظواهر اللغوية فى مصنفات النحو التقليـــدى لليونانيـــة واللاتينيـــة والعربية . وهناك تشابه بين حالات الأعراب فى كل من اليونانية واللاتينيـــة مع أنها فى الأولى خمس حالات[٣٢] وفى الثانيـــة ســـت حالـــت . وتكـــشف المقارنة بين حالات الإعراب العربية وحالات الإعراب اللاتينية عن وجـــوه مختلفة بينهما ، فليس الوضع الإعرابى فى اللاتينية على الصورة التى اهتدى اليها نحاة العربية ، من أن كل فاعل مرفوع وكل مفعول منصوب ... إلخ ، وذلك لأن الرمز الواحد فى اللاتينية قد رمز للفاعلية أو المفعولية مثل (um) مع الأسماء المحايدة neuter ويلاحظ كذلك أن الاسم المفرد فى اللاتينية قـــد

ينتهى بواحد من عشرة مقاطع ، بينما المفرد فى العربية لا يلحقه الا الضم أو الكسر أو الفتح[٣٣] ، وعلى الرغم من تنوع نهايات المفرد فى اللاتينية فإن العالم الأمريكى فردوست Fred West حاول تبسيط تلك النهايات بحصرها فى حالات ست على النحو التالى :

المعنى	المثال	الحالة الإعرابية	
حالة الرفع	Nominotive	homo	الرجلُ
حالة الجر	Genitive	hominis	الرجلِ
حالة المفعول غير المباشر	Dative	homini	الرجلَ
حالة النصب	Accusative	hominem	الرجلَ
حالة الألية	Ablative	homine	الرجلْ
حالة النداء	Vocative	homino	يارجلُ[٣٤]

غير أن الحالات التى تتغير نهاية معظم الأسماء تبعا لها فى اللاتينية متنوعة ومختلفة واللغويون يقسمون الأسماء اللاتينية المفردة إلى مجاميع أربعة :

١- تلك التى تنتهى فى حالة الفاعلية بالرمز (a) ومعظمها مؤنث.

٢- وما تنتهى فى حالة الفاعلية بالرمز (us) ومعظمها مذكر.

٣- وما تنتهى فى حالة الفاعلية بالرمز (er) وكلها مذكر.

٤- وما تنتهى فى حالة الفاعلية بالرمز (um) وكلها محايد.

وتسلك كل مجموعة من هذه المجاميع سلوكا معينا فى كل حالة من تلك الحالات الستة[٣٥] .

إن هذه الفروق بين النحو التقليدى اليونانى والنحو التقليدى العربى تؤكد اختلاف هذا عن ذاك فى المضمون فلكل واحد منهما لغته الخاصة به ، وكل لغة مغايرة للأخرى من وجوه كثيرة ، وعلى ضوء هذه الفروق ننظر فى آراء الباحثين الذين اهتموا بتأثير الثقافة اليونانية فى النحو العربى

التقليدى . ولا نستطيع أن نعر ض هنا لآراء جميع الباحثين من عرب ومستشرقين لسببين : الأول كثرة هذه الآراء مما تحتاج إلى سفر مستقل ، والآخر التشابه بين هذه الآراء . وربما كان الأستاذ أحمد أمين من أبرز القائلين بتأثير الثقافة اليونانية فى العلوم العربية ومنها النحو . وهو يقسم هذا التأثير إلى قسمين : أحدهما فى الشكل ، والأخر فى الموضوع " أما الشكل فيرجع إلى تأثير المنطق اليونانى ، وقد صبغ العلوم العربية صبغة جديدة صُبَّتْ فى قالبه ، ووضعت على منهاجه ، إذْ كان المنطق – كما قال ابن سينا – خادم العلوم ، عنى به المسلمون من أول عهدهم بالفلسفة ، وقد رأينا أن ابن المقفع ترجم كتاب المنطق لأرسطو ، وتتابع المترجمون بعده يترجمون الكتب المنطقية . وكان المنطق الذى وصل إلى العرب هو منطق أرسطو معدّلا ومضافا إليه ومشروحا بمنطق الرواقيين والاسكندرانيين ، ولم يزد العرب فيه شيئا يذكر .... وكان منطق أرسطو وشروحه العربية اوسع وأعمق مما بين أيدينا من كتب المنطق اليوم : فكان القياس يشغل فيه حيزا كبيرا ، وفيه كتاب واسع فى البرهان ، وآخر فى الجدل وكيف يكون ، وكيف يسلك فى افخام الخصم، وكان فيه باب للسفسطة ، وباب فى الخطابة ، وباب فى الشعر . وكانت الأبواب الخمسة الأخيرة ، وهى البرهان والجدل والخطابة والشعر والفلسفة تبحث فيه بحثا وافيا"(٣٦).

وبعد أن وصف الأستاذ أحمد أمين المنطق اليونانى والمنطق الأرسطى على هذا النحو أشار إلى الأثر اليونانى فى أسلوب المتكلمين فى مثل : " العالم حادث ، وكل حادث لابد له من محدث ، فالعالم لابد له من محدث :" ، كما أشار إلى الفرق بين تعبيرات الفقهاء فى عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموى وتعبيراتهم فى العصر العباسى ، فذكر أن التعبيرات الأولى كانت عربية بحته وأما التعبيرات الثانية فكانت أرسطاليسية صرفة ، ثم أوضح التأثير فى النحو بقوله : "وتقرأ كتاب

سيبويه فتجد ترتيبا وتبويبا منطقيا ، يبدأ بتقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف، ثم يعرّف كل قسم ويأتى بأمثلة ويذكر أحكامه ، وهكذا . ومن ذلك أن أرسطو قال : أن الزمان والمكان كالوعاء للأشياء ، إذ لابد لكل شئ مخلوق أن يكون واقعا فى زمان من الازمنة وفى مكان من الأمكنة ، فهما كالوعاء له ، وهذا أصل تسمية النحويين للمفعول فيه ظرفا ، أى وعاء". ويختم رأيه فى التأثير الشكلى بالإشارة الى القياس ، فهو فى الفقه وأصوله ، وفى النحو واللغة ، وفى الفلسفة .

كل هذا تأثير فى الشكل . أما التأثير فى الموضوع " فقد كان للفلسفة اليونانية أثر كبير فى تعاليم المتكلمين .؟ وكان للأفلاطونية الحديثة بعض الأثر فى التصوف .؟ وكان لهما معا أثر كبير فى الفلسفة الإسلامية، وهذا بتاريخ الفلسفة الإسلامية أشبه وأليق ، وكان للبلاغة اليونانية اثر فى علم البلاغة العربى"[٣٨].

وهذا الرأى على اتساعه وتشعبه يعتمد على التعميم سواء فى الشكل أو فى الموضوع اذا استثنيا استدلاله بقول المتكلمين بحدوث العالم ، وبظرفى الزمان والمكان فى النحو ، وهو يحدد العلوم العربية التى تأثرت بالمنطق اليونانى بعلوم ستة، هى: علم الكلام، وعلم الفقه ، وعلم أصول الفقه ، وعلم النحو ، وعلم الفلسفة ، وعلم البلاغة، وهى لا تمثل إلا قدرا ضئيلا من العلوم العربية الإسلامية التى اوجدها العلماء لخدمة النص القرأنى ، والتى ذكر ابن خلدون الكثير منها[٣٩] ، وما يعنينا منها هو علم النحو الذى كان علماء العربية يسمونه بالعربية وبالكلام وبالإعراب والذى ظل مرتبطا بالصرف والاشتقاق طوال عصر النهضة العلمية فى الدولة العباسية باستثناء كتاب التصريف للمازنى وكتاب آخر بنفس العنوان منسوب إلى أبى الحسن الأحمر .

وكان للنحو مكانته الخاصة بين العلوم العربية الإسلامية ، التى نشأت وتطورت قبل اتصال علماء المسلمين بالكتب اليونانية القديمة . وكانت الصلة بين النحو وعلم الكلام وعلم اصول الفقه وثيقة فكل علم يعتمد على أدلة وآراء العلم الآخر . وكان علم الكلام يقوم على العقل ، وجمع علم أصول الفقه بين العقل والنقل ، ومن ثم عرف المنهج النحوى القياس والعلة والعامل وما إلى ذلك ، وقد ظهرت التأثيرات الكلامية فى النحو فى فترة مبكرة عند سيبويه ، لكنه لم يتأثر بالفلسفة والمنطق الأرسطى . وقول الأستاذ أحمد أمين بأن ابن المقفع ترجم كتاب المنطق لأرسطو ، قول غير صحيح ، فلقد اثبت بول كراوس أن الذى ترجم منطق أرسطو هو محمد بن عبد الله بن المقفع ، ابن المقفع نفسه[٤٠] وأكد بول كراوس أن ما عمله عبد الله بن المقفع كان تلخيصا لبعض شروح ثلاثة كتب فى المنطق لأرسطو ، وأن الثابت لدى المؤرخين أن ترجمة المنطق الأرسطى تمت على يد حنين بن أسحاق (ت ٢٦٤هـ)[٤٠ مكرر] وتلاميذه.

أما منطقية الترتيب والتبويب كتقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف فقد أورد الأستاذ أحمد أمين نفسه ما يبطل ذلك : حيث عرض لرأى المستشرق ليتمان الذى أشار إلى اختلاف المستشرقين فى أصل علم النحو وذكر أن "منهم من قال إنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب، وقال أخرون : ليس كذلك، وإنما كما تنبت الشجرة فى أرضها ، كذلك نبت علم النحو عند العرب، وهذا هو الذى روى فى كتب العرب من زمن ، ونحن نذهب فى هذه المسألة مذهبا وسطا ، ونقول كما أثبته فى هذه السنة عالم يسمّى (Joseph Blance جوزيف بلاش)، وهو أن العرب أبدعوا النحو فى الابتداء ، لا يوجد فى كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تَقَدَّمُوه . ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان فى بلاد العراق تعلموا أيضا شيئا من النحو ، وهو النحو الذى كتبه أرسطاليس الفيلسوف[٤١] . وقدم ليتمان الدليل على

ذلك فاستطرد قائلا : ويرهان هذا ان تقسيم الكلمة مختلف . قال سيبويه : الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل . وهذا تقسيم أصلى ، أما الفلسفة فيقسم فيها الكلام إلى اسم وكلمة ورباط ، أى اسم هو الاسم ، والكلمة هى الفعل ، كما يقال له فى اللغات الأوربية (Verb) ، والرباط هو لحرف كما يقال له فى اللغات الأوربية (Conjunction) أى : أرتباط . وهذه الكلمات : اسم وكلمة ورباط ترجمت من اليونانى إلى السريانى، ومن السريانى إلى العربى فسميت هكذا فى كتب الفلسفة لا فى كتب النحو . أما كلمات : اسم وفعل وحرف فإنها اصطلاحات عربية ما تُرْجَمِتْ ولا نقلت"[٤٢] .

وتثبت المقارنة بين تعريفات أرسطو وتعريفات سيبويه للاسم والفعل والحرف صواب رأى ليتمان ، فأرسطو قال عن الاسم : "الاسم صوت مركب ، دال ، لا يتضمن الزمان ، وليس الجزء من أجزائه دلالة بمفرده ، فإن الاسم لمركب لا يستعمل جزء من أجزائه على أنه دال بمفرده ، ثم أوضح أنواع الاسم البسيط والمركب والمضاعف[٤٣]. أما سيبويه فقال : الاسم رجل وفرس فاكتفى بالتمثيل فى تعريفه وأضاف المبرد إلى ذلك أن الاسم هو " كل ما دخل عليه حرف من حروف الجر، وإن امتنع من ذلك فليس باسم"[٤٤] . وعن الفعل قال ارسطو : الفعل صوت مركب ، دال ، يتضمن الزمان ، ولا يدل جزء من أجزائه على انفراده كما فى الاسماء ، (فرجل) و (ابيض) لا يدلان على الزمان أما (يمشى) و (مشى) فيتضمان الدلالة على الزمان ، فالأول يدل على الزمن الحاضر ، والآخر يدل على الزمن الماضى"[٤٥] . والفعل عند سيبويه مختلف عن مفهومه عند ارسطو أيضا ، فالأفعال فى العربية أمثلة ، أخذت من لفظ أحداث الأسماء (أى المصادر) ، وبُنِيَتْ لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع، ومثل لهذه الأنواع الثلاثة بكلمات (ذهب) و (اذهب) و (يذهب)[٤٦] . ويبقى

الرباط عند أرسطو ، وهو لفظ غير دال ، لا يمنع ولا يسبب الصوت الواحد المركب من أصوات كثيرة ، ويوضع فى الطرفين أو فى الوسط ، أو صوت غير دال يمكن أن يركب من أصوات كثيرة – كل منها دال – صوتا واحدا دالا ، أو صوتًا غير دال يشير إلى ابتداء جملة أو انتهائها أو تفصيلها[٤٧] وفى مقابل هذه الوظائف والأنواع للرباط ولمواضعه لانجد عند سيبويه فى تحديده لمفهوم الحرف سوى قوله : " وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو : ثمّ ، وسوف ، وواو القسم ، ولام الإضافة ، ونحوها[٤٨] " وتؤكد هذه المقارنات مدى عمق الاختلاف فى أنواع الكلم بين أرسطو وسيبويه ، فكل واحد منهما يصف أنواع الكلمة فى لغته ، كما تؤكد هذه المقارنات أيضا صواب رأى ليتمان الذى عرضنا له أنفا . ويقول روبنز عن تحديد أجزاء الكلام فى اليونانية " إن أول تمييز معروف لأجزاء الكلام كان تقسيمها إلى اسم وفعل ، ويعزى إلى أفلاطون ، الذى اعتمد على الفرق المنطقى بين المسند إليه والمسند ، وفيما بعد ذلك أضاف أرسطو والرواقيون أنواعًا أخرى لنظام تصنيف الكلمات"[٤٩] ، ومن ثم اقتصر صنيع أرسطو فى تفسير أنواع الكلمة على إضافة الرابط أو الرابطة ليس غير . ولم يبق من أدلة هذا الرأى غير دليل الظرف بنوعيه ، أى : ظرف الزمان وظرف المكان وأنه كالوعاء بالنسبة للشئ ، فهذا ليس دليلا على تاثير المنطق اليونانى فى النحو العربى ، وفى كتاب سيبويه بصفة خاصة ، لأنه من المسائل النحوية العامة الموجودة فى كافة لغات البشر .

ويوجد تشابه محدود بين هذا الرأى الذى ناقشناه ورأى الدكتور أبراهيم بيومى مدكور الذى ذهب إلى أن المنطق الأرسطى أثر بعد ترجمته الى العربية فى المدارس الإسلامية المختلفة عند الفلاسفة والمتكلمين بل ، وعند الفقهاء ، ثم قال بعد ذلك :" لم يقف الأمر فيما نعتقد عند الفقه والكلام والفلسفة ، بل امتد إلى دراسات أخرى من بينها النحو ، وقد أثر فيه المنطق

الأرسطى من جانبين . أحدهما موضوعى ، والأخر منهجى فتأثر النحو العربى عن قرب أو عن بعد بما ورد على لسان ارسطو فى كتبه المنطقية من قواعد نحوية ، واريد بالقياس النحوى أن يحدد ويوضع على نحو ما جدد القياس المنطقى"(٥٠).

ويتفق هذا مع الرأى السابق فى تأثير المنطق الأرسطى فى بعض العلوم الإسلامية من ناحية ، وفى النحو العربى التقليدى من ناحية أخرى ، وسبق أن ناقشنا ذلك . غير أن الجديد فى رأى الدكتور مدكور هو تأثير المنطق الأرسطى فى منهج الدراسات النحوية العربية، فقد ذهب إلى أن التأثير كان فى اهتمام العرب بالقياس النحوى ، ومحاولة فلسفته والبحث عن أركانه وتحديد شروطه. كما رأه فى مبدأ العلة ،فى نظرية العامل النحوية التى هى وليدة مبدا العلة فى الفلسفة . وهذا الرأى جدير بالمناقشة فى قضية التاثير اليونانى فى النحو العربى التقليدى ، لأن البيئة العراقية التى ولد فيها النحو العربى التقليدى وتطور حتى نضج على يد سيبويه ، كانت مشبعة بأفكار ثقافات مختلفة من أبرزها الثقافة اليونانية . وكان فى الدولة العربية الإسلامية منذ الفتوحات الإسلامية قساوسة ورهبان ودارسون لليونانية وعلومها القديمة فى مدارس جنديسابور وحران والإسكندرية ومدرسة برجامون (فى أسيا الصغرى) . ومنذ بداية الدولة العباسية فى عهد أبى جعفر المنصور وجدت اتصالات موسعة بكتب الثقافة اليونانية القديمة. وفى هذه البيئة التى انصهرت فيها ثقافات أمم أعجمية مختلفة نما النحو العربى واكتمل على يد سيبويه أبى النحو العربى التقليدى فلا غرابة والوضع على هذا النحو أن يتأثر علماء اللغة المسلمون بمنهج التأليف فى العلوم الأعجمية، ولكن ليس بهذه العلوم ذاتها من ناحية موضوعاتها ومادتها اللغوية .

ولقد انقسم هؤلاء العلماء إلى ثلاث جماعات ، جماعة أعجبوا بعلوم اليونان وثقافتهم إعجابا بلغ بهم أن كانوا لا يأبهون بغيرها ، ولا يرون فضلا

إلا لها ؛ وجماعة ثانية يرون الاقتصاد فى هذا الاعتدال لا ينكرون فضل اليونان ولكنهم لا يرونه كل الفضل[٥١] ، أما الجماعة الثالثة فكان أتباعها يرفضون علوم اليونانيين القدماء ، ومنهم أحمد بن فارس ٣٩٥هـ ، الذى قال " زعم ناس أن علوما كانت فى القرون الأوائل والزمن المتقادم ، وأنها دَرَسَت (أى صارت قديمة) وجددت منذ زمان قريب ، وترجمت وأصبحت منقولة من لغة إلى لغة ، وليس ما قالوا ببعيد ، وإن كانت تلك العلوم – بحمد الله وحسن توفيقه – مرفوضه عندنا " [٥٢] وهذا رفض لجميع العلوم اليونانية القديمة التى ترجمت إلى العربية فى العصر العباسى الأول ولا يقوم الرفض هنا على حجة مقنعة ، حتى إذا ما تعلق الرفض بالنحو اليونانى فإننا نجد ابن فارس نفسه يقول : وزعم ناس يُتوقف عن قبول أخبارهم أن الفلاسفة كان لهم إعراب ومؤلفات نحو ، وهو كلام لا يُعَرَّج (أى يُعَوَّل) على مثله، وإنما تشبه القوم آنفا بأهل الإسلام ، فاخذوا من كتب علمائنا ، وغيروا بعض ألفاظها ، ونسبوا ذلك إلى قوم ذوى أسماء منكرة ، بتراجم بشعة ، لا يكاد لسان ذى دين ينطق بها ؟" [٥٣] والرفض هنا بدون دليل ، وهو مصطبع بالكراهية العمياء التى تتمسح بالدين مع أن الدين الحنيف يأمر بالعلم ويحضّ على القراءة فالحكمة ضالة المؤمن.

كان من الطبيعى أن لا يحدث حوار بين هذه الجماعة الرافضة للكتب اليونانية المترجمة إلى العربية مع أى من الجماعتين الآخرين ، الأولى المغرمة بالكتب اليونانية القديمة وبمنهج الفلاسفة ، والثانية المعجبة بمنهج أولئك الفلاسفة وبكيفية معالجتهم للقضايا المختلفة بالأدلة المنطقية .؟ وكان من أتباع الجماعة الأولى الفلاسفة المسلمون ومترجمو المؤلفات اليونانية القديمة خاصة من السريان . وكان من أتباع الجماعة الثانية علماء العربية من النحاة والبلاغيين ومصنفى المعاجم العربية . وقد جاء فى رسائل أبى حيان التوحيدى التى سماها بالمقياسات فصلان جعل الأول منهما على صورة

حوار بني أستاذة أبى سعيد السيرافى ومتى بن يونس ، ووضعه تحت عنوان :" المنطق اليونانى والنحو العربى " أما الفصل الثانى فجعله أبو حيان على صورة حديث بينه وبين أستاذه سليمان المنطقى ، ووضعه تحت عنوان: " ما المناسبة بين المنطق والنحو من المناسبة"(٥٤).

ومن الحوار الذى دار بين متى بن يونس وأبى سيد السيرافى نقتطف الأقوال التالية :

قال أبو سعيد : إذا كانت الأغراض المعقولة والمعانى المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف ، أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟

قال : نعم .

قال : أخطأت ، قل فى هذا الموضع : بلى .

قال متى : بلى ، أنا أقلدك فى مثل هذا .

قال ابو سعيد : فأنت إذن لست تدعونا إلى علم المنطق ، بل إلى تعلّم اللغة اليونانية .

ثم قال له : أسألك عن حرف واحد هو دائر فى كلام العرب ومعانيه متميز عند أهل العقل ، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطوطاليس الذى تُدِلُّ به ، وتباهى بتفخيمه ، وهو الواو ، وما أحكامه ؟ وكيف مواقعه ، وهل هو على وجه واحد أو وجوه؟ فبهت متى ، وقال : هذا نحو ، والنحو لم، انظر فيه ، لأنه لا حاجة بالمنطق إلى النحو ، وبالنحو حاجة إلى المنطق لأن المنطق يبحث عن المعنى ، والنحو يبحث عن اللفظ ، فإن مر المنطقى باللفظ فبالعرض، وإن عبّر النحوى بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضع من المعنى .

قال أبو سعيد : النحو منطق ولكنه مسلوخ عن العربيةوالمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعى

والمعنى عقلى ، ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان ، يقفو أثر الطبيعة بـأثر آخر من الطبيعة .

قال متى : يكفينى من لغتكم هذه الاسم والفعل والحرف ، فإنى اتبلـغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لى يونان[٥٥].

وإذا كانت هذا الحوار يوضح لنا نظرة النحويين العرب (ممثلة فـى أبى سعيد السيرافى) لمنهج المنطق الأرسطى من ناحية ، ومدى ادراك أولئك النحاة للفرق بين الدراسة المنطقية الارسطوطاليسية والدراسة النحوية العربية من ناحية أخرى – فإن رسالة أبى حيان الثانية تصور طابع التفكير النحوى، حينئذ فقد أيقن علماء العربية أن المسائل النحوية فـى المنطـق الأرسـطى مرتبطة بالفلسفة واستعمال الألفاظ والتراكيب المتنوعة فى الإقناع والجـدل ، فى حين أن الدراسة النحوية العربية مرتبطة بوصف التراكيـب فـى اللغـة العربية لتحديد خصائصها . ونظروا للنحو على أنه منطق عربـى ، ، كمـا نظروا للمنطق الأرسطى على أنه نحو عقلى ، ورأوا أن " جل نظر النحوى فى الألفاظ وأن كان لا يسوغ له الإخلال بالمعانى التى هى لهـا كالحقـائق والجواهر"[٥٦] . وكان من الطبيعى والحالة على هذا النحو أن يتأثر علمـاء العربية وخاصة النحاة بمنهج المنطق الأرسطى . والذين يرفضون تأثر النحو العربى التقليدى بهذا المنطق إنما يظنون أن المراد بذلك هو التأثير فى شكل النحو العربى ومضمونه . غير أن التأثير لم يكن كذلك ، وإنمـا كـان فـى المنهج حيث أفاد علماء المسلمين من أسس هذا المنهج وقواعده وأفكاره .

إن منهج أرسطو يعتمد على أفكار عقلانيـة بعـضها ظـاهر جلـى وبعضها الأخر غامض خفى . ومن تلك الأفكار فكرة التقسيم التـى أخـذها أرسطو عن أستاذه أفلاطون ، والتى تعد الطريقة المثلى عندهما فى تعريـف الأشياء ، ويبدو أن أفلاطون هو صاحب فكرة التقسيم هذه حيث كان يقـسم الشئ المراد تعريفه إلى قسمين ، ثم يختار أحدهما فيقسمه إلى قسمين آخرين

حتي وصل إلى معنى الشئ المراد تعريفه . وقد طور أرسطو فكرة التقسيم هذه ، حين جعل التعريف التام قائما على الجنس والفصل النوعى ، وحين اشترط أن يدخل فى التعريف عناصر المعرَّف فقط ، وأن تنظم هذه العناصر فى نسق صحيح وأن تخرج منه العناصر الأخرى[٥٧].

وتوجد فكرة التقسيم هذه فى أبواب نحوية كثيرة فى كتاب سيبويه ، منها باب الفاعل الذى يعد عنوانه أطول عناوين الأبواب النحوية فقد أجمل فيه حالات الفعل مع الفاعل ، ثم جعل كل حالة من تلك الحالات فى باب مستقل أوردها عقب العنوان المجمل [٥٨] مما يدل على أن سيبويه أفاد من فكرة التقسيم وشروطها فى المنطق الأرسطى. ولكنه لم يتأثر بمثال التقسيم عند أفلاطون ، الذى قسم "الصيد بالشص" إلى "تطلب ، بالقنص ، الخفى، لأشياء حية ، هى حيوانات تعيش فى الماء، وهى أسماك ، بضربها ، ليلا ، ضربته من أسفل "[٥٩].

ومن أفكار المنهج الأرسطى أيضا تعريف الكلام بأنه "صوت مركب دال ، بعض أجزائه يدل على انفراده ، إذ ليس كل كلام مركبا من أفعال واسماء – كحد الإنسان مثلا ، فقد يكون كلام بدون أفعال على أنه لا يخلو أبدًا عن جزء دال ، مثل (كليون) فى قولك (كليون يمشى) والكلام يكون واحدا على ضربين : إما بأن يدل على أمر واحد، وإما بأن يؤلف من أقوال كثيرة ، فالإلياذة مثلا واحدة بالتأليف / وحدّ الإنسان واحد بدلالته على أمر واحد"[٦٠] ويختلف هذا التعريف عن نظيره للكلام عند الخليل[٦١] ، وعن نظيره للكلام أيضا عند سيبويه[٦٢] وسبق أن ذكرنا الفروق التى بين تعريفات أجزاء الكلام ، الاسم والفعل والحرف ، مع أن الكلام وأجزاءه يعد من الظواهر والسمات اللغوية المشتركة بين لغات الناس جميعهم ، ولعل فى هذا ما يثبت تأثر النحوين العرب بفكرة التقسيم أو التصنيف دون المثال الذى تطبق عليه الفكرة ذاتها .

وإذا تركنا الكلام وأجزائه إلى فكرة الجملة فإننا نجد أن ارسطو عرف الجملة بأنها قسم من كلام له معنى ، ولبعض أجزائها معنى مستقل باعتباره لفظا وإن كان لا يعبرعن حكم" . والمعنى هنا مشترك بين الجملة ووحداتها ، ويمكن مقارنة هذا التعريف بتعريف الجملة ، عند ابى العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ) فى باب الفاعل ، حيث ذهب إلي أن الفاعل إنما كان رفعا لأنه هو والفعل جملة يَحْسُنُ عليها السكوت ، وتجب به الفائدة للمخاطب" (٦٣).

والفرق بين التعريفين فى التقسيم حيث الجملة والكلمة فى تعريف أرسطو والجملة والفعل والفاعل فى تعريف المبرد، مما يدل على أن التأثير اليونانى انحصر فى فكرة الجملة وليس فى تقسيمها . زد على ذلك أن أرسطو قسم الجملة إلى محمول وموضوع بينما هى مقسمة عند نحاة العرب إلى مسند إليه ومسند ، والتقسيم هنا يعتمد على فكرة الإسناد ، وليس على فكرة الجمل على موضوع فى التفكير الفلسفى .

والأساس المنهجى الثانى عند أرسطو هو القياس والبرهان . وقد رأى أنهما آلة العلم التى تعتمد على تحليلهما ، لأن العلم الكامل هو إدراك الشئ عن طريق هذا التحليل . وعرف أرسطو القياس بأنه "قول مؤلف من أقوال إذا وضعت لزم عنها بذاتها لا بالعرض قول آخر غيرها اضطرارا(٦٤). وشرح فى (التحليلات الأولى) هذا التعريف فذكر أن ماهية القياس تقوم فى لزوم النتيجة من المقدمتين ، فإذا كان أ (مائت) مقولا على كل ب (حيوان)، وكان كل ب مقولا على كل جـ (إنسان) – فإن أ (مائت) مقولا على كل جـ (إنسان) . وتسمية القضايا والحدود مأخوذة من خصائصها فى هذا التركيب: الحد الأوسط بين الطرفين (مائت وإنسان) ، والطرفان الواحد منها أكبر من الأوسط، والآخر أصغر من الأوسط .. فالقياس ، إذن ، يتألف من ثلاثة حدود ، الأول مثلا : الإنسان والفرس والنور طويل العمر ، والثانى

الإنسان والفرس والثور قليل المرارة ، والثالث : إذن فكل حيوان قليل المرارة فهو طويل العمر ، لأن المقدمتين تؤديان إلى النتيجة . ويمثل الحد الأكبر المحمول ، والحد الأصغر الموضوع ، والأوسط مشترك بينهما .

لم يتخذ نحاة العربية القياس والبرهان على هذا النحو وإنما رأوا أنه علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب ، وذلك عن طريق حمل غير المنقول على المنقول بمعنى المسموع ، وكان الخليل وسيبويه يقولان : ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم ، وما لم يكن فى كلام العرب فليس له معنى فى كلامهم ، وأوضح أبو عثمان المازنى ذلك بقوله هذا هو القياس، ألا ترى أنك إذا سمعت (قام زيد) أجزت أنت (ظُرف خالد) و (حُمَق بشْر) وكان ما قسْته عربيا كالذى قسته عليه ، لأنك لم تسمع من العرب أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ومفعول ، وإنما سمعت بعضا فجعلته أصلا وقسْت عليه ما لم تسمع"[٦٥] . وهكذا تأثر النحويون العرب بفكرة القياس وليس بمضمونه بدليل أن القياس ارتبط بالبرهان فى تحليلات ارسطو ، بينما ارتبط القياس بالسماع فى النحو العربى .

والاساس المنجى الثالث هو التعليل ، وهو عنصر أساسى من عناصر المنهج عند أرسطو أوضحه فى (التحليلات الثانية) وتقع فى مقالتين الأولى تدور حول ماهية العلم وشرائط مقدماته وخصائص البرهان من حيث إبانته عن علة حصول المحمول للموضوع . وتدور الثانية على خصائص البرهان من حيث هو وسيلة لحد المحمولات ، أى أنه قياس منتج للعلم ، والعلم يعنى معرفة العلة ، وهى معرفة ثابتة ضرورية ، وحينما تكون المقدمات أولية ويستدل على المعلول بالعلة، يسمى البرهان (برهان لِمَ) يفيد علة حصول النتيجة ، ويحكى نظام الوجوه حيث العلة سابقة على المعلول . وهناك برهان آخر يسمى (برهان إن) وهو الذى مقدماته تقتضى البرهنة أو الذى يستدل على العلة بالمعلول ، ومن ثم ترتبط العلة بالمعرفة ، ويندرج التعليل فى

إطار التجارب العقلية ، وقد قَسَّمَ أرسطو العلّة إلى أربعة أنواع : مادية ، وصورية ، وفاعلية ، وغائية، وجعل العلة الأولى للإجابة عن: ما الشئ ؟ ، والثانية للإجابة عن : كيف ؟ والثالثة للإجابة عن : من فعل الشئ ؟ والعلة الأخيرة للإجابة عن : لم ؟(٦٦) .

ويقوم النحو العربى على التعليل ، أو على تحديد العلة التى أدت إلى صيغة الكلمة وتنوعها ، وإلى تنوع التراكيب واختلافها غير أن هناك فرقا جوهريا بين التعليل فى منهج أرسطو والتعليل فى الدراسة النحوية التقليدية عند علماء العربية ، وهو أن العلة فى منهج أرسطو ترتبط بالمعرفة بينما ترتبط فى النحو العربى التقليدى بالسبب الذى أدى إلى حالة نحوية أو صرفية تحتاج إلى تعليل وتوضيح وتفسير ، فمن هذا القبيل قول نحاتنا القدماء : "إنما اعملوا اسم للفاعل لما ضارع الفعل وصار الفعل سببا له وشاركه فى المعنى ، وقولهم "إنما استوى الجر والنصب فى التثنية والجمع لأن الجر للاسم لا يجاوزه ، والرفع قد ينتقل إلى الفعل فكان هذا أغلب وأقوى :وقولهم : " المفعول به نصب إذا ذكرت من فعل به ، وذلك أنه تعدّى إليه فعل الفاعفل ... وإنما كان الفاعل رفعا والمفعول به نصبا ليعرف الفاعل من المفعول به ، مع العلة التى ذكرت لك ... وتثبت هذه الأقوال أن التعليل فى النحو العربى التقليدى ارتبط بذكر السبب ، وأن أنواع هذا السبب لا تقع تحت حصر لأنه متنوع من حالة لأخرى ومختلف من نحوى لآخر ، وفى هذا ما يدل بوضوح على تأثر نحاتنا القدماء بفكرة العلة و التعليل وليس بمضمونها فى منهج أرسطو .

ولعل فى هذه الأسس المنهجية ما يؤكد أن تأثير المنهج الأرسطى فى النحو العربى التقليدى كان تأثير أفكار ولم يكن تأثير مضامين وليس من اليسير دائما تحديد الأفكار التى أثرت فى الآخرين، وذلك لأننا إذا حاولنا أن نعرف الفكرة كيف نبتت وكيف تمت ، وما العوامل فى إيجادها ، وما

العناصر التى غذتها ، وما الطوارئ التى طرأت عليها فعدلتها أو صقلتها ، أعيانا ذلك ، وبلغ منا في استخراجه الجهد، لأن الفكرة- كما قال الأستاذ أحمد أمين – أول أمرها لا مظهر لها تستدل به عليها ، وقد تتكون من عناصر قد لا تخطر ببال ويعمل فى تغييرها وتعجيلها عوامل فى منتهى الغموض ... وفوق هذا فالأفكار متنوعة والآراء متعددة ، وقضايا كل عصر تخالف ما قبلها ، ويراها الباحث فيظنها أول وهلة جديدة لم ترتبط بما قبلها برباط ، ولم تتصل به أية صلة، فَيُعْمِلُ فِكْرَهُ فيما عسى أن يكون بينهما من قرابة أو نسب، وما قد يصل بينهما من سبب(٦٨).

من هنا تبدو صعوبة الإلمام بالفكرة ، وبجوانبها ومدى تأثيرها من عدمه ، واستجابة الغير لها بالإيجاب أو بالسلب أو المتغيرات التى طرأت عليها فى نُمُوّها وفى انتقالها وفى ثقافة الآخرين . كل هذا ينبغى مراعاته بدقة فى العلاقة بين النحو العربى التقليدى والمقولات التى تناولها أرسطو فى كتاب (المقولات) ، وهى عشر ، ومثل لها الدكتور يوسف كرم ، فقال : الجوهر ، مثل : جل ، والكمية ، مثل : ثلاثة أشبار ، والكيفية ، مثل أبيض . والإضافة، مثل : نصف . والمكان ، مثل : السوق ، والزمان ، مثل : أمس، والوضع ، مثل : جالس والملك ، مثل : شاكى السلاح . والعقل ، مثل : القطع . والانفعال ، مثل : مقطوع . ومعنى المقولة عند أرسطو هو كل ما يمكن أن يدخل محمولا فى قضية ، ولذلك يرد بعضها فى جميع كتب أرسطو تقريبا(٦٩).

ولقد ذهب الدكتور تمام حسان إلى أن أثر المنطق الأرسطى فى النحو العربى يبدو من جانبين اثنين : أولهما جانب المقولات وتطبيقها فى التفكير النحوى العام ، وثانيهما الأقيسة والتعليلات فى المسائل النحوية الخاصة مع ما يساير ذلك من محاكاة التقسيمات اللغوية التى جاء بها أرسطو فى دراسته والتى خلط فيها بين النحو والمنطق(٧٠).

وسبق أن ناقشنا ما يخص القياس والتعليل ، أما المقولات فقد طبقها الدكتور تمام حسان على النحو العربى التقليدى تطبيقا لا يخلو من التكلف والتعسف ، فعن أثر مقولة (الجوهر) ذكر أن النحاة نظروا إلى اللغة نظرتهم إلى الأشياء المحسوسات ، فجعلوا للكلمة جوهرًا كما جعلوه للمادة ، ورأوا أن جوهر الكلمة لا يتغير الا بإعلال ابدال ، فالأصل أو الجوهر فى (قال) : (قَوَلَ) ، وفى فعل الأمر من (وَفَىَ) (اوْف) ، وفى كلمة (نهى) (نَهَىَ) ، وفى (قاضٍ) (قاضىٌ) ... إلخ، والخلط هنا واضح بين الجوهر والأصل ، فهذا غير ذاك إن جوهر الشئ هو حقيقته وذاته ، بينما أصل الشئ هو أساسه الذى يقوم عليه وليس فى مقوله الجوهر عند أرسطو إعلال أو إبدال أو أى مناقشة صرفية تكشف عن تغيير فى أصل الكلمة أو جوهرها .

والمقولة الثانية وهى(الكلمة) مثل : ثلاثة أشبار ، جعلها الدكتور تمام مؤثرة فى كمية النطق بالصوت اللغوى من ناحية ، وفى الفرق بين الصنعة المجردة والصيغة المزيدة للكلمة من ناحية أخرى ، وتحديد نحاة الفصحى لكمية الصوت أصله تحديد علماء القراءات والتجويد ، وهو مجال عربى صرف تختص الدراسة فيه بنطق الأصوات اللغوية ، وما تخضع له من وصل ووقف ، وما يتميز به الصوت من صفات وخصائص وغير ذلك من أحكام القراءات . والكمية هنا مخالفة تماما للكمية فى الفلسفة حيث شرح القديس توما الأكوينى نسبة المحمول إلى الموضوع فقال عن مقولة (الكم) : المحمول صفة الموضوع وهذه الصفة إمّا أن تكون لازمة للموضوع من مادته وهذا هو الكم، أو من صورته وهذا هو الكيف وإما أن تكون له بالإضافة إلى آخر ، وهذه هى الإضافة "[٧١]. ومن الواضح أن المقصود بمقولات (الكم) و (لكيف) و(الإضافة) فى الفلسفة، غير المقصود منها فى النحو العربى التقليدى ، فما هى العلاقة بين لزوم المحمول للموضوع فى الفلسفة وكمية الصوت فى نطق الصوت اللغوى ؟ وما العلاقة بين لزوم

المحمول للموضوع من ناحية صورته فى مقولة (الكيف) والتقسيم إلى مفرد ومثنى وجمع والمصطلحات الصرفية كالناقص والأجوف وغيرها فى النحو العربى التقليدى؟ وما هى الصلة بين كون المحمول صفة للموضوع بواسطة الإضافة إلى آخر فى مقولة (الإضافة) وتقدير الفاعل فى الجملة وفكرة الإمالة فى مصنفات النحو العربى ؟ ولاشك أن الإجابة عن هذه الأسئلة لا تثبت أى تأثر بهذه المقولات الثلاث .

وفسر الدكتور تمام مقولة (الوضع) بالوضع فى الإعراب ، مع أن المقصود بهذه المقولة فى الفلسفة هو ملاحظة ترتيب أجزاء الجوهر . كما فسر مقولة (الملك) بتسجيل الكتابة للصوامت دون الصوائت فى العربية وليس فى ذلك أية علاقة بين مقولة (الملك) التى تحدد وجها من وجوه ملكية الموضوع للمحمول وبين الكتابة العربية ، وإذا نظرنا إلى مقولتى (الزمان) و (المكان) فى الفلسفة حيث قياس زمان المحمول (مثل : أمس) ومكانه (مثل: السوق) بالنسبة للموضوع ، وجدنا الدكتور تمام يطبق مقولة (الزمان) على زمن الفعل ، ومقولة (المكان) على الإعلال والإبدال وتقدير الحركة ، والتكلف هنا واضح لا يحتاج إلى مناقشة او تحليل . وبالنسبة لمقولتى (الفعل) و (الانفعال) رأى أنهما من أسباب وجود نظرية العامل فى النحو العربى التقليدى . ولا توجد أية علاقة بين هذه النظرية ومفهوم (الفعل) و(الانفعال) فى الفلسفة ، فالمقولة الأولى هنا خاصة بكون الموضوع مبدأ للمحمول ، والثانية خاصة يكون الموضوع نهاية للمحمول . ولاشك أن الفوارق بين المقولات العشر فى الفلسفة وتطبيقات الدكتور تمام لها فى النحو العربى فوارق كبيرة جدا ، ولذلك قلنا أنها لا تخلو من التعسف والتكلف ، وإذا كنا قد استبعدنا تأثير المقولات فى النحو العربى على هذا النحو ، فإننا فى الوقت نفسه لانستبعد احتمال تأثر نحاة العربية القدماء بفكرة هذه المقولات وليس بمضامينها ، وهذه يستلزم بحثا مستقلا .

ثالثا : مجال المعاجم :

القاموس أو المعجم هو كل كتاب ترتب فيه ألفاظ بطريقة أو بأخرى لتحديد صيغها ومعانيها بحسب استعمالاتها اللغوية ، ولم يكن هذان المصطلحان (أى : القاموس أو المعجم) معروفين كتسميتين للمعاجم العربية طوال عصور الدولة العباسية . وقد استعملت كلمة (قاموس) لأول مرة عندما أطلقها الفيرزبادى (ت ٨١٧هـ) على معجمه مسماه القاموس المحيط ، ثم استعملت كلمة (معجم) فى هذه التمسية مؤخرًا حتى صارت هى الأكثر استخداما فى تسميات المعاجم العربية ، ويعد المعجم ، من ناحية ما يتضمنه من كلمات اللغة ومشتقاتها ، خزانة لألفاظ اللغة ومصطلحاتها وتعبيراتها ، ولذلك كانت الوظيفة الأساسية للمعجم هى تسجيل الثروة اللغوية وحفظها من النسيان والضياع ، وهو بذلك بمثابة الحارس الأمين للغة الذى يمثل ثروتها وجوهرها .

وخلال عصور الدولة العباسية وضعت أمهات المعاجم العربية بعد أن قام علماء العربية بجولاتهم الميدانية قبل قيام تلك الدولة ، وبعد أن سجلوا العديد من الرسائل اللغوية التى استخدمت مصدرًا أساسيًا لتصنيف المعاجم العربية . واعتاد الباحثون المحدثون أن يقسموا هذه المعاجم إلى قسمين على أساس نوع المنهج التصنيفى ، وأطلقوا على القسم الأول تسمية " معاجم الألفاظ" ، وعلى القسم الآخر تسمية "معاجم المعانى" . ومن أهم معاجم القسم الأول معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدى (ت١٧٠هـ تقريبا) ، و(الجيم) للنضر بن شميل (ت٢٠٣هـ) ، و(الجيم) أيضا لأبى عمرو الشيبانى (ت٢٠٦هـ) ، و(الجيم) كذلك لأبى عمرو شمر بن حمدوية الهروى (ت٢٥٥هـ) و(التقفية فى اللغة) لليمان البندنيجى (ت٢٨٤هـ) ، و(البارع فى علم اللغة) للمفضل بن سلمة (ت٣٠٠هـ) ؛ وغيرها كثير . غير أنه لم يصلنا منها سوى (العين) ، و(الجيم) لأبى عمر والشيبانى و(التقفية) .

وأما القسم الآخر من المعاجم العربية فمنه معاجم (الصفات) لكل من النضر بن شميل (ت٢٠٣هـ) ، وقطرب (ت ٢٠٦هـ) ، والأصمعى (ت٢١٣هـ) ، وأبى زيد الأنصارى(ت ٢١٥هـ) ، وجميعها لم تصلنا ومنها أيضا (الغريب المصنف) لكل من أبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) وعمرو بن أبى عمرو الشيبانى (ت ٢٣١هـ) ، ولم يصلنا سوى المعجم الأول ومنها كذلك (الألفاظ) لابن السكيت (ت٢٢٤هـ) ، و(المعانى الكبير) لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، و(فقه اللغة) لأبى منصور الثعالبى (ت ٤٣٠هـ) وهناك معاجم أخرى من القسمين كالجمهرة لابن دريد ، وتهذيب اللغة للأزهرى ، ومقاييس اللغة لابن فارس ، والجراثيم لابن قتيبة وغيرها مما لا يتسع المجال لحصره .

وعلى الرغم من الصلة الوثيقة بين هذه المعاجم والثروة اللفظية العربية التى تشكل مادتها وقوامها ، فإن من الباحثين المحدثين من ذهب إلى أن المعاجم العربية السابقة متأثرة بكتابات أجنبية ، واختلفوا فى تلك المؤثرات الأجنبية فرأى بعضهم التأثير الهندى ، ورأى آخرون أن التأثير كان عبريا أو يونانيا .؟ ومن هؤلاء الدكتور محمد إسماعيل الندوى ، الذى رأى أن الهنود قد أثروا " فى وضع المناهج للقواميس العربية" ، ورد الدكتور أحمد مختار عمر هذا الرأى متسائلا : إن الهنود لم يكن لديهم هم أنفسهم مناهج للقواميس الهندية ، فكيف يكون لهم هذا التأثير ؟ وأكد أن أيا من معاجمهم لم يكن قد حقق النموذج الذى يجدر احتزاؤه . واستدل على ذلك برأى باحث غربى يقول: "الحقيقة أن العرب فى مجال المعاجم يحتلون مكان المركز سواء فى الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث وبالنسبة للشرق والغرب ... والمعجم العربى منذ نشأته كان يهدف إلى تسجيل المادة اللغوية ، بطريقة منظمة ، وهو بهذا يختلف عن كل المعاجم الأولى للأمم الأخرى ، التى كان هدفها شرح الكلمات النادرة أو الصعبة[٧٢] .

وبالنسبة للتأثير العبرى فى المعاجم العربية فذهب إليه الدكتور أحمد مختار عمر ، واستدل على ذلك بالترتيب بحسب القافية أو الباب والفصل ، فذكر أن سعيد الفيومى (ولد سنة ٢٧٩هـ = ٨٩٢م ، وتوفى سنة ٣٣١هـ = ٩٤٢م) وضع عملا معجميا أسماه Agron رتبه ورتب قسما منه على الأواخر ، وأول من عرفناه من المعجمين العرب يرتب على الأواخر هو أبو بشر اليمان بن أبى اليمان (٢٠٠هـ - ٢٨٤هـ) ، ثم أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى (ت٣٥٠هـ أو ٣٧٠هـ) ثم تساءل الدكتور أحمد مختار قائلا : هل استفاد الفارابى من سعيد الفيومى (أو هل ألف كل منهما معجمه بدون اتصال بالآخر ، وخصوصا أنهما قد تعاصرا لفترة طويلة ؟ أو هل هما متأثران بمعجم اليمان أو بمعجم أقدم منهما لم يصلنا أو تصلنا معلومات عنه؟[٧٣] ، وقد رد الدكتور محمد حسين آل ياسين على هذه التساؤلات وذكر أن أبا بشر اليمان بن أبى اليمان البندنيجى (ت٢٨٤هـ) سبق سعيدا الفيومى إلى الترتيب بحسب القافية فى معجمه (التقضية) ، وقد توفى البندنيجى وللفيومى خمس سنين[٧٤] . ويضاف إلى هذا ما ذكره الفيومى نفسه فى مقدمة الإجرون حيث ذكر أنه تأثر بعالم عربى وطبع كتابا للعرب يستدلون به على الفصيح ، كذلك وضع هو الإجرون ليستدل به بنو إسرائيل على الفصيح فى العبرية[٧٥] .

ولا يعنينا هنا التأثير الهندى والتأثير العبرى فى المعاجم العربية بقدر ما يعنينا التأثير اليونانى فى تلك المعاجم فلقد رأى المستشرق بارتولد أن الخليل ألف كتابه (أى العين)فى خراسان ، ويتضح منه تأثير اليونان فى علوم العرب ، ولقد جاء ذلك فى كتاب (تاريخ الحضارة الإسلامية) ولم يشر إلى مواضع التأثير فى معجم العين ولا إلى وجوهه . وسبق أن تحدثنا عن إبداع الخليل فى دراسته للأصوات العربية بعيدا عن أى تأثير أجنبى ، ونضيف هنا أنه لم يؤثر عن اليونانيين القدماء أنهم درسوا مخارج الأصوات

وصفاتها ، بل إنهم أهملوا دراسة هذا الجانب ، واهتموا فقط بعلاقة الأصوات والألفاظ بالدلالات[٧٦] . ومعنى هذا أن التأثير اليونانى عند بارتولد كان تأثيرا فى المنهج لاختلاف ترتيب الأصوات فى (العين) عنه فى الأبجدية اليونانية من جهة ، وعدم وجود دراسة صوتية مستقلة عند اليونانيين القدماء من جهة أخرى .

ولقد نسب منهج الخليل فى (العين) إلى عبقريته الفذة ، حيث اهتدى إلى فكرة التقاليب التى أحصى بها مفردات اللغة ، هى فكرة رياضية تقوم على أساس تبادل مواضع الأصوات فى الكلمة واحتمالات تأليفها ، سواء كانت الكلمة ثنائية أو ثلاثية او رباعية أو خماسية . وبهذه الطريقة أحصى الخليل كلمات اللغة العربية وشواهدها من القرآن الكريم والشعر العربى والأمثال العربية ولغات قبائل العرب ، ولم يروعن الخليل أنه كان يعرف اليونانية ولا غيرها من لغات العجم فكيف يقال أنه تأثر فى معجمه باليونانية ؟!

وتجدر الإشارة هنا الى ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية مِنْ أن أثيناوس اقتبس نصوصا من خمسة وثلاثين معجما مفقودة جميعها وأن كثيرا مِنْ هذه المعاجم اليونانية ثم تأليفه فى مدرسة الاسكندرية [٧٧]، وإذا كانت هذه المعاجم اليونانية مفقودة فإن تأثيرها فى المعاجم العربية يكون مفقودا أيضا . ولم تزدهر المعاجم اليونانية الا فى أواخر القرن الرابع الميلادى والقرن الخامس الميلادى [٧٨] وليس من بين هذه المعاجم ما ينسب إلي ارسطو ، ولم يرو عن المترجمين للكتب اليونانية القديمة أنهم نقلوا معاجم يونانية قديمة إلى العربية ، وبالتالى لا يوجد دليل على تأثير يونانى فى المعاجم العربية ، ويؤكد هذه النتيجة عاملان ، أحدهما عَنْ أسباب تصنيف المعاجم العربية ، والآخر عن تنوع التصنيف المنهجى .

أما العامل الأول فيوضح أسباب كثرة المعاجم العربية وتنوعها خلال عصر الدولة العباسية حيث يرجع ذلك إلى فساد اللغة على ألسنة العامة

وشيوع اللحن فى الكلام نتيجة لاختلاط العرب بالعجم ، وبمخالطتهم استعمل كثير من كلام العرب فى غير موضعه ، وتَسَرَّبَ الخطأ إلى موضوعات الألفاظ ويقول ابن خلدون أنه " احتج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين . وكان سابق الحلبة فى ذلك الخليل بن احمد الفراهيدى ألف فيها كتاب العين فَحَصَرَ فيه مركبات حرفة المعجم كلها"(٧٩).

كانت المعاجم العربية ، إذن ، ضرورية لمواجهة خطر لغوى هدد الدولة العربية الإسلامية فى عقيدتها ، وتراثها ولسانها ووحدتها ، فلولا هذه المعاجم وجهود علماء اللغة والنشاط الضخم للدراسات اللغوية العربية لتغير التاريخ العربى الإسلامى . لكن الاعتصام بكتاب الله وبحديث رسوله (ص) شكل قلعة حصينه فى مواجهة المتغيرات الحضارية فى الدولة العباسية .

وأما العامل الثانى الخاص بتنوع التصنيف المنهجى للمعاجم العربية فيكشف عن اتجاهين مختلفين :" الأول فى تصنيف معاجم الألفاظ ، والأخر فى تصنيف معاجم المعانى . ويلاحظ أن علماء المعاجم العربية السابقة قد تنوعت مناهجهم فى معاجم الألفاظ حيث رتبت الكلمات تحت حرفها الأول بحسب المخرج ، ويعرف هذا المنهج بالترتيب المخرجى ، وحيث جرى الترتيب إما تحت الحرف الأول من الكلمة ، بعد تجريدها من الزوائد تارة ، ودون تجريدها من هذه الزوائد تَارَةً أخرى وإما بترتيب الكلمات تحت حرفها الأخير ، ويعرف هذه الأنواع بالترتيب الهجائى ، وحيث جرى الترتيب بحسب الأبنية مما يعرف بالترتيب البنيوى .

هذا التنوع فى معاجم الألفاظ يدل دلالة قاطعة على اجتهادات علماء المعاجم العربية ، وعلى محاولاتهم العملية الجادة فى حصار ظاهرة اللحن وفساد اللغة ، كما يدل أيضًا على عدم وجود أية مؤثرات أجنبية . ويؤكد هذا

أيضا المنهج الذى اتبعه علماء العربية وفقهاؤها فى تأليف معاجم المعانى ، والذى يتلخص فى تجميع الكلمات الخاصة بموضوع معين فى فصل مستقل . ويمثل كتاب (فقه اللغة) للأبى منصور التعالبى (ت ٤٣٠هـ) هذا المنهج تمثيلا دقيقا فالكتاب قَسَّمَهُ مؤلفه إلى قسمين الأول جعله بعنوان فقه اللغة وقسمه إلى ثلاثين بابا ووضع تحت كل باب عدة فصول اختلف عددها باختلاف الموضوعات التى تنتمى إليها . وجعل القسم الآخر تحت عنوان ": سر العربية " بمعنى خصائصها الصوتية والصرفية . وعلى هذا النحو كان الثعالبى يجمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى فصل مستقل . وقد عالج فى فصول القسم الثانى ظواهر لغوية مهمة تظهر خصائص العربية وسماتها وهكذا كانت المعاجم العربية بقسميها إبداعا عربيا خالصا لم تشبه عجمة أو يؤثر فى مناهجه التصنيفية أى عمل أحنبى .

رابعا : مجال البلاغة :

اختلف الباحثون فى تأثير المنطق الارسطى فى هذا المجال بين مؤيد ومعارض ، ولعل السبب فى ذلك يكمن فى ارتباط البلاغة بالنقد، وخاصة نقد الشعر . وقد لوحظ وجود تيارين مختلفين فى نشأة نقد الشعر ، هما : تيار عربى خالص نشأ من رواية الشعر والتنافس بين الشعراء فيه ، وتيار فلسفى يونانى تأثر بكتابة الشعر والخطابة ، كما تأثر بمصادر فلسفية أخرى ، واعتمد التيار الأول على الرواية أولاً ، والدراسة اللغوية ثانيا ، وعلى الذوق ثالثا ، بينما اعتمد التيار الثانى على الإفادة من آراء الفلاسفة اليونانيين وغيرهم فى نقد الشعر وتقييمه فى كنف نهضة ثقافية كبرى بلغت ذروتها فى النصف الأول من تاريخ الدولة العباسية .

ويعد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) من أتباع التيار الثانى وفى مؤلفاته عبارات كثيرة تدل على عمق تأثره بالتيارات الفكرية المختلفة فى عصره ، فهو يقول :" ومن أحب أن يبلغ فى صناعة البلاغة ،

ويعرف الغريب ويتبحر فى اللغة ، فليقرأ كتاب كاروند . ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والعبر والمثلات (العقوبات والتنكيلات) ، والألفاظ الكريمة والمعانى الشريفة ، فلينظر في سير الملوك . فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ، ومعانيها ، وهذه يونان ورسائلها وخطبها ، وعللها وحكمها ، وهذه كتبها فى المنطق التى قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة ، والخطأ من الصواب ، وهذه كتب الهند فى حكمها وأسرارها وسيرها وعللها ، فمن قرأ هذه الكتب ، وعرف غور تلك العقول ، وغرائب تلك الحكم ، عرف أين البيان والبلاغة ، واين تكاملت تلك الصناعة"(٨٠) .

من هنا كانت الحالة الثقافية فى عصر الجاحظ تعج بمختلف الثقافات الأعجمية التى تفاعلت معها الثقافة العربية الإسلامية ، وكانت كتب تلك الثقافات، قد نقلت إلى العربية وصارت سهلة المنال لكل من يري صناعة البيان والبلاغة ، وكان فى مقدمة تلك الكتب المترجمة إلى العربية حينذاك مؤلفات أرسطو فى الفلسفة والمنطق والطبيعيات والفن ، وحظى (كتاب الشعر) بعناية علماء المسلمين واهتماماتهم بصفة خاصة فلم يكتفوا بترجمته من السريانية إلى العربية فحسب ، بل قام فلاسفة المسلمين كالكندى والفارابى وابن سينا وغيرهم بتلخيصه وتحديد أفكاره وقضاياه ولذلك كان هذا الكتاب من أكثر الكتب اليونانية القديم تأثيرا فى الدراسة البلاغية العربية، وأكد الجاحظ ذلك حيث أشار إلى أن لليونانيين فلسفة وصناعة منطق ، ثم قال : "كان صاحب المنطق نفسه بكى اللسان ، غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه . وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة ، ولا بهذا الجنس من البلاغة(٨١) . وكان القدماء معجبين بكتابه أرسطو لدرجة أن وصف أحدهم أسلوبه بأنه يتدفق كنهر من تبر " وأن كتبه فى الجدل والشعر والحكاية تدل

على رسوخ قدمه فى الأدب وسُمُوّ ذوقه ، ومدى عنايته الفائقة بتحديد معانى الألفاظ[٨٢] ولاشك أن التقاء الثقافات الأعجمية وتفاعلها إلى جانب المكانة الكبيرة التى حظيت بها الثقافة اليونانية عامة والمنطق الارسطى خاصة قد أثر فى الدراسات البلاغية العربية أكثر من غيرها من الدراسات اللغوية العربية الأخرى .

ويلاحظ أن نظرة البلاغيين العرب إلى البلاغة اتسعت حتى شملت مفهومها عند الشعوب الأعجمية، حيث قيل للفارسى : ما البلاغة؟ قال : معرفة الفصل من الوصل . وقيل لليونانى : ما البلاغة؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام ، وقيل للرومى : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الإطالة ، وقيل للهندى ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة [٨٣] وتختلف هذه المفاهيم للبلاغة عند كل من الفرس ، واليونان ، الروم ، والهنود عن نظائرها عند البلاغيين العرب من ناحية التعبير ، والشكل وليس من ناحية المضمون ، فمن أولئك البلاغيين من قال عن البلاغة أنها " لمحة دالة" ، وقيل : البلاغة أن تصيب فلا تخطئ ، وتسرع فلا تبطئ ، وقيل : " حدّ البلاغة إلا يؤتى السامع من سوء أفهام للناطق ، ولا الناطق من سوء فهم السامع"[٨٤] . والعجيب أننا نجد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى (ت٤٦٦هـ) ينقل بعضا من تعريفات البلاغة حسب مفهومها فى ثقافات الشعوب الأعجمية الأربعة المذكورة آنفا ، حيث يعرف البلاغة بأنها " معرفة الفصل من الوصل : "وهذا تعريفها فى الثقافة الفارسية ، وحيث يعرفها أيضا بأنها اختبار الكلام ، وتصحيح الأقسام، وهذا تعريفها فى الثقافة اليونانية[٨٥].

إن لهذا النقل فى مجال البلاغة سببا وشواهد ، أما السبب فيكمن فى العامل المشترك بين البلاغة والمنطق ، فكلاهما يبحث فى أَوْفَى التعبيرات الدالة على سمو الفكر على أساس تأييد العقل واقتناعه . وأما (الشواهد) فهى

كثيرة جدا فى كتب البلاغة والنقد ، منها عند الجاحظ قوله : " قال صاحب المنطق : حد الإنسان الحىّ الناطق المبين [٨٦]. ومنها عند القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى قوله : ":خبرنى هل تعرف شعرا أحوج إلى تفسير بقراط وتأويل أرسطوطاليس من قوله ... [٨٧] ومنها عند ابن سنان الحفاجى قوله : : قد ثبت ان الفرق الواضح بين الحيوان الناطق والصامت هى النطق، وبه وقع التمييز فى الحدّ المنسوب إلى الحكيم (أرسطو) [٨٨] ، وغير ذلك كثير مما لا يتسع المجال لذكره وإحصائه ، وهذا ما نسميه بالنقل المباشر ، وتوجد فى كتب النقد والبلاغة عبارات كثيرة ، مثل : قال الحكماء أو بعض الحكماء ، أو قال الأوائل ، أو بعض الأوائل –والمقصود بذلك هم اليونان ، ونحن نعدّ ذلك نقلا غير مباشر .

بَيْدَ أن هذه الشواهد المنقولة عن المنطق الأرسطى _ رغم كثرتها لم تطمس هوية البلاغة العربية ولم تصرف اهتمام البلاغيين عن نصوص العربية الفصحى ، وخاصة الشعر فقد ربط البلاغيون العرب دراستهم البلاغية بالشعر العربى ، أكثر مما ربطوها بفنون التعبير النثرى ، وجعلوا الشعر فى إطار منطقى عندما عدوه صناعة ترمى إلى اكتساب سليم الغير بأقواله ، والحقوه بالجدل والخطابة ، ولقد أكّد القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى أن العرب ومن تبعهم من السلف كانوا يجرون على عادة فى تفخيم اللفظ وجمال المنطق ، لم يألفوا غيره ، ولا أنسهم سواه ، وكان الشعر أحد أقسام منطقهم ... إلخ[٨٩] . كما أكد الجاحظ أن " البديع مقصور على العرب، ومن أجله فَاقَتْ لغتهم كل لغة ، وَرَأَرْبَتْ على كل لسان "[٩٠] بل إن من علماء العربية من نظر إلى البلاغة نظرة واسعة جدًا فرأى أنها " اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون فى السكوت، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون فى الاشارة ، ومنها ما يكون فى الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها

ما يكون سجعا وخطبا ، ومنها ما يكون رسائل ، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحى فيها والإشارة إلى المعنى ، والإيجاز ، هو البلاغة [٩١].

بهذه النظرة الموسعة والشاملة لمختلف أشكال البلاغة وأنواعها ينبغى أن نميز بين مظاهر التأثير اليونانى وما يمكن تسميته بالأصالة العربية والعقلية العربية المبدعة ، فلا مانع عند البلاغيين من أن يأخذوا من الثقافات الأعجمية عامة ، واليونانية خاصة ، أفكار يستوعبونها وأقوالا ينقلونها لكنهم فى الوقت نفسه يوظفون تلك الافكار والأقوال فى دراساتهم لقضايا البلاغة العربية وفروعها .

وتجدر الإشارة هنا إلى شرح أرسطو لموضوع البلاغة فى كتاب الشعر حيث ذكر أن كل اسم إما أصيل أو لغة أو استعارة أو زينة أو موضوع أو ممدود أو مقصور أو مغير ، واعنى بالأصيل ما نستعمله كلنا ، وباللغة ما يستعمله اهل بلد أخر ... والاستعارة هى نقل اسم شئ إلى شيء آخر ... (وبالزينة المناسبة) إذا كانت نسبة الاسم الثانى إلى الأول كنسبة الرابع إلى الثالث ... والاسم الموضوع هو الذى لم يسبق لأجد استعماله فى هذا المعنى بل جاء به الشاعر من عنده .... والاسم الممدود أو المقصور هو ما بولغ فى مد حرف صائت فيه ، أو زيد فيه مقطع ، أو ما اقتطع منه شئ ... ويكون الاسم مغيرا إذا احتفظ بجزء منه وغير جزء آخر.[٩٢].

وواضح أن موضوع البلاغة اليونانى عند أرسطو مختلف عن نظيره عند البلاغيين العرب ، الذين أدركوا منذ البداية أن موضوع البلاغة مرتبط بفنون التعبير الشعرى ، وليس الاسم كما رأينا عند أرسطو ، وأدركوا أيضا أن الشعر العربى قد تأثر بالتحضر ، وفى ذلك يقول القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ، فلما ضرب الإسلام بجرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواجز ، ونزعت البوادئ على القرى ، وفشا التأدب والتَّظُّرف اختار الناس من الكلام الينة وأسهلة ، وعمدوا إلى كل شئ ذى أسماء كثيرة

اختاروا أحسنها سمعا ، وألطفها من القلب موقعا ، وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسْلَسِهَا وأشرفها ... وتجاوزوا الحد فى كل التسهيل حتى تسمّحوا ببعض اللحن ، وحتى خالطتهم الركاكة والعجمى ، وأعانهم على ذلك لين الحضارة ، وسهولة طباع الأخلاق ، فانتقلت العادة ، وتغير الرسم، وانْتَسَخَتْ هذه السنة ، واحتذوا بشعرهم هذا المثال ، وترقّقوا ما أمكن ، وكسوا معانيهم ألطف ما سنح من الألفاظ ، فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين ، فيظن ضعفا فإذا أفرد عاد ذلك اللين صفاء ورونقا ، وصار ما تخيلته ضعفا رشاقة ولطفا"(٩٣).

إن القاضى الجرجانى محق تماما فى رأية هذا ، غير أن بعض البلاغيين لم يؤيده فى ذلك ، وظل مستمسكا بفنون المعانى والبيان فى أشعار فحول الشعراء من الجاهليين والإسلاميين . وأدى ذلك إلى نسبة وضع علمى المعانى والبيان إلى عبد القاهر الجرجانى (ت٤٧١هـ تقريبا) على أساس المسائل البلاغية التى تناولها فى (أسرار البلاغة) ، (دلائل الإعجاز) فقد كان البلاغيون من قبله يعنون بالألفاظ أكثر من المعانى ، وكانوا يرددون أن المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى ، والقروى والبدوى وإنما الشأن فى إقامة الوزن وتَخَيُّر اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك.

ويفهم من ذلك أن البلاغة فى الألفاظ ، غير أن الذين ذهبوا هذا المذهب من البلاغيين كالجاحظ والآمدى والجرجانى لم يعنوا بالألفاظ أصواتا مجردة عن معانيها وإنما عنوا بها العبارة عن المعنى أيضا ، وربما كانوا متأثرين فى ذلك برأى افلاطون الذى كان يرى أن الإنسان حيوان ناطق مدنى ، وأنه احتاج إلى فعل انفعالاته للآخرين ، فاصطنع الألفاظ والكتابة ، حيث الكتابة دلالة الألفاظ والألفاظ دلالات انفعالات النفس ، والانفعالات مثل الأشياء ، لأن الشئ إنما تدركه النفس بمثال منه فى الحس أو فى العقل .

خالف أرسطو أستاذه فى ذلك ، فذهب إلى أن دلالة الكتابة على الألفاظ وضعية باتفاق الجميع ، ودلالة الألفاظ على الانفعالات وضعية كذلك ، ودلالة الانفعالات على الأشياء طبيعية [٩٤]. ويفسر هذا الخلاف مخالفة عبد القاهرة لسابقيه من ناحية عنايته بالمعانى دون الألفاظ ، حيث حدد مقصده من كتابه (أسرار البلاغة) فى التوصل إلى بيان أمر المعانى كيف تتفق وتختلف، ومن أين تجتمع وتفترق ، وافضل أجناسها وأنواعها .. إلخ [٩٥] . وأكد عبد القاهر قيمة المعنى فى الدراسة البلاغية فى كتابه (دلائل الإعجاز) حيث قال : " إن الألفاظ المفردة التى هى أوضاع اللغة ، لم توضع لتعرف معانيها فى أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها البعض فيعرف فيما بينهما فوائد[٩٦]. ويؤدى الضم إلى النظم ، وهو ما عنى به عناية فائقة فيما يسمى بنظرية النظم وفيها فرق بين (الحروف المنظومة) و (الكلم المنظومة) حيث بيّن أن نظم الحروف هو تواليها فى النطق ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ، ولا الناظم لها بمقتف فى ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرّى فى نظمه لها ما تحراه . فلو أن واضع اللغة كان قد قال : رَبَضَ ، مكان : ضرب ، لما كان فى ذلك ما يؤدى إلى فساد . وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك ، لأنك تقتفى فى نظمها آثار المعانى ، وترتبها على حسب ترتب المعانى فى النفس . فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضها مع بعض ، وليس هو النظم الذى معناه ضم الشئ الى الشئ كيف جاء واتفق ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشْى والتحبير وما أشبه ذلك[٩٧].

هذه هى خلاصة نظرية النظم عد عبد الوهاب الجرجانى ، وهى التى اختلف حولها الباحثون المحدثون من ناحيتى شكلها ومضمونها لكننا نرى أن أساس النظرية هو مراعاة قواعد النحو ، وهى التى أشار اليها مرات عديدة[٩٨] ، كما أشار إلى بعض قواعد النحو ذاتها [٩٩] إلى جانب آراء

أرسطو فى العناية بالمعنى وتأليفه والدليل أن عبد القاهر بحث عن المعانى فى النظم حيث تلتقى المعانى بما يقتضيه العقل ، وهو نفس رأى أرسطو الذى عنى عناية عظيمة بتحديد معانى الألفاظ ، ففى كتاب (العبارة) قسم العبارة إلى بسيطة ومركبة ، وموجبة وسالبة ، وصادقة وكاذبة ، ثم عرض إلى تقابل البسيطة فى التناقض والتضاد ، وتقابل التناقض فى قضايا الممكن .. وغير ذلك من طرق الفن التعبيرى [١٠٠] . ومن للمؤكد أن عبد القاهر لم يكن عنى بكلمة (النظم) ما يقابل النثر ، وهو الشعر، وإنما عنى بها التركيب اللغوى بمختلف صوره وأشكاله ، والتعبير البليغ بكافة صوره ووسائله الفنية، ولقد ركز عبد القاهر فى دراسته البلاغية على الشعر العربى بمختلف عصوره وفنونه التعبيرية وكان يدرك تماما الفرق بين الشعر اليونانى القديم والشعر العربى الذى اقتبس منه شواهده واستخلص منها الاستعارات والكنايات والتشبيهات وفنون التعبير الأخرى .

وإذا كان أرسطو قد اعتنى بالشعر بحسب مذاهب اليونانية فيه ، ونبّه على عظم منفعته ، وتكلم فى قوانين منه ، فإن أشعار اليونانية أنما كانت إغراضا محدودة فى أوزان مخصوصة ، ومدار جل أشعارهم – كما يقول الدكتور شكرى عياد – على خرافات كانوا يضعونها يفرضون فيه وجود أشياء وصور لم تقع فى الوجود ، ويجعلون أحاديثها أمثالا وأمثلة لما فى الوجود [١٠١] والشعر العربى على خلاف ذلك ، ففيه الآن التعبير المتنوعة ، وطرق التركيب المختلفة ، وفنون البلاغة المتعددة ، وأشكال الصور الفنية ، وعلى الرغم من الفروق الجوهرية بين الشعر اليونانى والشعر العربى فإن عبد القاهر قد أفاد من كتاب (العبارة) (كتاب الشعر) لأرسطو إلى حد كبير، واستطاع لعقليته الواعية إن يضع نظرية التنظيم التى استخلصها من المنطق اليونانى والنحو العربى وطبقها على الشعر العربى .

إن المنطق هو علم قوانين الفكر ، وآلة العلوم فلا غربة أن يكون له هذا

التأثير فى مجال البلاغة ، حيث الفكر السامى ، والتعبير البليغ ، وحيث فنون الصياغة والنظم فى ظل قوانين الأفكار عن طريق أعمال العقل ، ومع ذلك لم تفقد الدراسة اللغوية العربية فى العصر العباسى طابعها العربى الأصيل فى مجال الأصوات رغم ظهور بعض الأصوات غير المستحسنة فى قراءة القرآن والشعر على النحو الذى ذكره سيبويه ، فهذه الأصوات المرفوضة كانت صدى للهجات المختلفة من ناحية ، ولطرق نطق الأعاجم للفصحى من ناحية أخرى ، وبقيت الدراسة اللغوية العربية محتفظة أيضا بطابعها العربى الأصيل فى مجال المعاجم رغم تسجيلها لبعض الألفاظ الأعجمية لكن الكلمات المعربية كانت قليلة جدا بحيث لم تؤثر فى الثروة اللفظية الضخمة للفصحى وبقيت الدراسات اللغوية العربية محتفظة كذلك بطابعها العربى الأصيل فى مجال النحو والصرف والاشتقاق رغم تأثر النحاة ببعض الأفكار اليونانية والطرق المنهجية عند أرسطو دون أن يأثروا بمضامينها وتطبيقاتها المختلفة .

والواقع أن البحث فى قضايا التأثير والتأثر بحث شاق لأنه ملئ بالأفكار الخداعة التى قد توهم الباحث بتتبع اثارها ، وتواصله إلى استنتاجات غير صحيحة . ولكى ينجو الباحث من هذه الأفكار عليه ان يفرق بين المنطق اللغوى والمنطق العقلى ؛ فلكل لغة منطقها المميز وخصائصها الذاتية التى تختلف عن منطق وخصائص أية لغة أخرى ، أما المنطق العقلى فهو الذى يهدى التفكير الإنسانى فى كل زمان ومكان ، ولاشك أن ارتباط اللغة بالعقل الانسانى جعل بين لغات البشر قدرا مشتركا يمكن إرجاعه إلى الفكر الانسانى العام ، أيا كانت اللغة ، وأيا كانت البيئة أو الجنس . ومثل هذا القدر المشترك هو الذى نستشف فيه – كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس – الصلة بين اللغات والمنطق ، وعن طريق يحدد الارتباط بين النظام اللغوى والتفكير الانسانى بصفة عامة [١٠٢] ولقد حاولت هنا أن أتلمس مظاهر التأثير والتأثر

بين الثقافة اليونانية والثقافة العربية إبان العصر العباسى ، ولاحظت أثناء البحث أن ثمة أفكارا مهمة يساهم بها الساميون القدماء فى الثقافة اليونانية . وكانت شبه الجزيرة العربية هى المهد الأصلى لأولئك العرب الذين هاجروا إلى بلاد الرافدين ومنطقة الشام وشرق إفريقيا وشمالها ، وجميع أولئك المهاجرين كانوا عربا واثروا بحضارتهم فى الثقافة اليونانية فى نقل الأبجدية على يد الفينيقيين إلى اليونانيين القدماء . أضف إلى ذلك الرأى القائل بالأصول الشرقية (العربية) للإلياذة . وهذا وغيره من الفرضيات العلمية التى تحتاج إلى بحث آخر .

الهوامش :

١ – صفحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٥٦، جـ١ص٣٠٧.

٢ – مقدمة ابن خلدون ، دار القلم بيروت ١٩٧٨م، ص ٤٨٠-٤٨١.

٢- نفسه جـ١ ص٣٣٩.

٣ – نفسه جـ١ ص٢٩٢.

٤- كتاب أرسطوطاليس فى الشعر ، تحقيق ترجمة الدكتور شكرى محمد عياد الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣، ص١١.

٥- نفسه ، ص ١٤.

٦ –

٧ – كتاب سيبويه ،ـ تحقيق عبد السلام هارون الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩١هـ = ١٩٧١م ، جـ٣ ص ٢٦٩.

٨-

٩- الفيقيون شعب سامى قديم عرف بنشاطه التجارى مع مختلف دول العالم القديم وقد حرص الفينيقيون على الاستيطان فى جميع شواطئ البحر المتوسط وإلى المحيط الأطلنطى وراءه ، وإلى مناجم القصدير فى

بريطانيا – انظر : سباتنيو موسطاتى ، الحضارات الساسية القديمة ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ، دار الرقى – بيروت ١٩٨٦، ص٣٧ ، يؤكد فى دوست ان الاغريق الذين اخذوا الابجدية عن الفينيقين لم يضيفوا اليها غير الصوائت (الحركات) انظر :

١٠- كتاب العين المنسوب للخليل تحقيق الدكتور عبد الله درويش ، مطبعة العانى – بغداد ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧م ، ص٥٣.،

١١- ادكتور أحمد مختار عمر : البحث اللغوى عند العرب ، عالم الكتب بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م ص٢٣٣.

١٢- الدكتور محمد حسين آل ياسين : الدراسات اللغوية عند العرب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت : ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، ص ٨٦-,٨٧

١٣- سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ـ، بيروت ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، ص١٥.وما بعدها .

١٤- كتاب الشعر ، ص ١١٠.

١٥- سر صناعة الإعراب ، تحقيق الدكتور حسن هنداوى ، دار القلم – دمشق ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، جـ١ ص٢٧-٢٨.

١٦-حققه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ، ونشرته مكتبة الكليات الازهرية ، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.

١٧- اسباب حدوث الحروف ، ص ٢٣ وما يليها .

١٨- كتاب الشعر ، ص ١١٠.

١٩- راجع كتاب العين للخليل ص ٦٤-٦٥، وكتاب سيبويه جـ٤ ص٤٣٣، ومابعدها ، وسر صناعة الاعراب لابن جنى ، جـ١ ص٤٦ ، وما بعدها وسر الفصاحة ، لابن سنان ص٥٧-٥٩.

٢٠- كتاب الشعر ص ١١٠.

٢١- البحث اللغوى عند العرب ص ٨٤ .

٢٢- الدراسات اللغوية عند العرب ، ص ٨٤-٨٥.

٢٣- المنصف ، شرح الامام ابى الفتح عثمان بن جنى لكتاب التصريف للامام ابى عثمان المازنى ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين، مكتبى مصطفى البابى الحلبى ، مصر ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م ، جـض ص٢.

٢٤- دكتور أحمد مختار عمر : البحث اللغوى عند العرب ، ص ٨٩ ، ويشير فى هامش الصفحة ذاتها إلى الشك فى وضع معاذ الهراء لعلم الصرف .

٢٥- راجع : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق : محمد أحمد جارا المولى وآخرون ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، جـ١ ص٣٤٥ ومابعدها .

٢٦- الأشباه والنظائر فى النحو ، مراجعة الدكتور فايز ترخيف ، دار الكتاب العربى ،ـ بيروت ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ص ٨٣.

٢٧- المنصف جـ١ ص ٤.

٢٨- دكتور يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ١٣٨٩هـ ، ١٩٧٠م، الطبعة الخامسة ص ٤٨ - ٤٩ .

٢٩- المرجع نفسه ص٤٥.

-٣٠

٣١- النحو العربى والدرس الحديث / دار نشر الثقافة ، الإسكندرية ، ١٩٧٧، ص ٤٦-٤٧.

-٣٢

٣٣-راجع / من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس ، مطبعة الانجلو

المصرية الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦، ص ٢٠٦.

-٣٤

٣٥- انظر : من أسرار اللغة ، الدكتور إبراهيم أنيس ص ٢٠٥.

٣٦- صبحى الإسلام ،/ جـ١ ص ٢٨٩.

٣٧- نفسه جـ١ ص ٢٩١.

٣٨- نفسه جـ١ ص ٢٩٢.

٣٩- مقدمة ابن خلدون ص٤٣٧-٤٧٨.

٤٠- الدراسات الغوية عند العرب ، ص ٩٣.

٤٠- مكرر انظر : النحو العربى والدرس الحديث للدكتور عبده الراجحى ص ٦٥-٦٦.

٤١- صبحى الإسلام جـ٢ ص ٢٩٢ ومابعدها

٤٢- نفسه جـ٢ ص ٢٩٣.

٤٣- كتاب الشعر ، ص ١١٤.

٤٤- كتاب سيبويه ، جـ١ ص١٢، والمقتضب ، جـ١ ص٣.

٤٥- كتاب الشعر ص١١٢.

٤٦- كتاب سيبويه جـ١ ص ١٢.

٤٧- كتاب الشعر ، ص ١١٢.

٤٨- كتاب سيبويه جـ١ ص ١٢.

-٤٩

٥٠- دكتور إبراهيم أنيس من أسرار اللغة ، ص ١١٩.

٥١- نفسه ، ص ١٢٠.

٥٢- الصاحبى لابن فارس /، تنقيق السيد أحمد صقر / مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ص ١٤.

٥٣- نفسه ، ص ٧٦، وانظر " المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطى

جـ١ ص ٣٢٨.

٥٤- راجع : من اسرار اللغة للدكتور أبراهيم أنيس ن ص ١٢٠ ، ز

٥٥- انظر : كتاب الشعر ، لأرسطو ص ١٧٨ ، النحو العربى والدرس الحديث للدكتور عبده الراجحى ص٩٩.

٥٦- من أسرار اللغة ، ص ١٢٢.

٥٧- النحو العربى والدرس الحديث ، ص ٧١ ومابعدها .

٥٨- كتاب سيبويه جـ١ ص ٤٣-٤٤.

٥٩-النحو العربى والدرس الحديث ، ص٧٣.

٦٠- كتاب الشعر ، ص ١١٤.

٦١- دراسات فى علم اللغة المقارن للباحث نم دار الثاقفة بالقاهرة ١٩٨١م، ص١٣.

٦٢- كتاب سيبويه جـ١ ص ٢٥.

٦٣- كتاب المقتضب تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب بيروت ص ٨.

٦٤- راجع : تاريخه الفلسفة اليونانية للدجكتور يوسف كرم ، ص١٢٣.

٦٥- المنصف لكتاب التصريف ، جـ١ ص ١٨٠.

٦٦- انظر : النحو العربى والدرس الحديث ، ص٨١.

٦٧- انظر : كتاب سيبويه جـ١ ص ٢١، ٣١ ، والمقتضب للمبرد جـ١ ص٧ ، ٨ وغيرها .

٦٨- مقدمة ضحى الاسلام ، ج١ ص حـ-د

٦٩- تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٢٠.

٧٠- مناهج البحث فى اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩م ص٢٥-٢٦.

٧١- تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٢١.

٧٢- البحث اللغوى عند العرب ، ص ٢٣٢.

٧٣- نفسه٨ ص ٢٤١.

٧٤- الدراسات اللغوية عند العرب ص٩٠.

٧٥- المقدمة العربية للأجرون ، نشر وزتحقيق أ.هركابى ص ٤٥.

-٧٦

-٧٧

-٨٧

٧٩- مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٨.

٨٠- البيان والتبين ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ن جـ٣ ص٤٠.

٨١- نفسه ، جـ٣ ص٤٩.

٨٢- انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص١١٦، وما بعدها .

٨٣- البيان والتبين ، جـ١ ص ٦٤.

٨٤- البيان والتبين جـ١ ص ٧٠،٨٢ ، وسر فصحاة الابن سنان الخفاجى ، دار الكتب العلميةى – بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨٢، ص٦١.

٨٥- سر الفصاحة ص ٥٤٩-٦٠.

٨٦- البيان والتبين جـ١ ص ٥٦، وانظر : ص ٧٥ ، و ١٧٩ ، وجـ٢ ص٢١. ، وص ٨٠ وغيرها كثير .

٨٧- الوساطة بين المتنبى وخصومه ، تحقيق /: محمد أبو الفضل -براهيم ، وعلى محمد البجداوى ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٠ .

٨٨- سر الفصاحة ص٦٠

٨٩- الوساطة بين المتنبى وخصومه ص١٧.

٩٠- البيان والتبين جـ٤ ص ١١٩.

٩١- ونفسه جـ١ ص٨٢.

٩٢- كتاب الشعر ، ص ١١٦-١٢٠.

٩٣- الوساطة ، ص ١٨-١٩.

٩٤- تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٢٢.

٩٥-أسرار البلاغة ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، الطبعة السادسة ، ١٣٧٩هـ ، ١٩٥٩، ص ١٧.

٩٦- دلائل الاعجاز ، تحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر ، مكتب الخانجى بالقاهرة

٩٧-نفسه ص ٤٩.

٩٨- نفسه ص ٣٢٦٢ ، ٣٧٠، و ٣٩١ ، ٣٩٢، و ٤٥٢ وغيرها .

٩٩- نفسه ، ص ٨ ، و ٨ ، و ٣٠ مثلا

١٠٠- انظر ،: تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٢٢.

١٠١- كتاب الشعر ، ص٢٤٥.

١٠٢- من أسرار اللغة ، ص ١٢